المجاهد
الطيب ابراهيم عبد الغني
(سي توفيق)

سيرة وجهاد

تأليف
الدكتور قدور ابراهيم عمار
المهاجي

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف
1442 هـ - *** 2021 م

الإهداء

إلى المجاهـــــد/ الطيب ابراهيم عبد الغني (سي توفيق)، إلى كل من نذر نفسه للجهاد في سبيل الله، لتحرير الوطن من طغيان الاستعمار وكيده، محتسبا جهده وماله وعمره عند الله، مؤثرا الآخرة على الحياة الدنيا،

أهدي ثمرةَ هذا الكتاب وثوابَهُ إلى روحهم الطاهرة في رحاب الله،

عمار المهاجي

المجاهد

الطيب ابراهيم عبد الغني (سي توفيق)

ـــ سيرة وجهاد ـــ

المجاهد
الطيب ابراهيم عبد الغني المدعو (سي توفيق)
قائد المنطقة الخامسة ـ الولاية الخامسة التاريخية

تجمع هذه الصورة كلا من السيد المجاهد/ الطيب ابراهيم عبد الغني بن عبد القادر المدعو (سي توفيق)، والأستاذ الدكتور قدور ابزاهيم عمار بن محمد الشيباني المهاجي، كاتب هذه السطور من عام 2012 للميلاد،

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

لقد كانت الحاجة ولا زالت تدعو إلى معرفة تاريخ رجالات الثورة الجزائرية التحريرية الكبرى من 1954 للميلاد وإلى اليوم، وأن ذكرهم من طرف الكثيرين من ذوي الاختصاص من أهل التاريخ والبحوث والدراسات، لا زالت تمتد عندهم إلى أخبار وروايات لا تكاد تنتهي إلى إنشاءات متعددة الجوانب، تاركة وراءها رقعة واسعة من آفاقهم المتعددة، ودلالاتهم الفكرية والثقافية من التي كانت لهم أثناء الثورة التحريرية الكبرى، من حيث التوجيه السليم الذي يريح النفس ويقوي المؤمن على المقاومة ومواصلة الجهاد والعمل الصالح، والصبر على مشقته وفتنة الظفر والفشل، حيث لا زالت أيامهم وإلى اليوم تشكو التحريف والتغيير في كثير من مضمونها العام، المادي والمعنوي وتوجهاتها الوطنية الفكرية والثقافية، إضافة إلى ما كانوا يتوافرون عليه أو ما اكتسبوه من خبرات تربوية ثقافية دينية اجتماعية في كثير من معارف نافعة وفقا لتلك المعايير الاجتماعية الإنسانية السائدة يومئذ ، في وحدة وطن، ومذهب وعقيدة ودين، والتي فتحت بها الثورة سُبُلَها من حيث تضَافُر الجهود وحشد الطاقات تحت لواء المقاومة والجهاد،

ولا بد لنا أن نشير هنا إلى الدور الريادي الذي قام به أفذاذ من نخبة هذا الوطن من الذين كانوا على قدر كبير من تراكم معرفي وإيغال في معرفة كفاح الأوائل من رجالات هذا الوطن، ومقاومتهم لأعتى ظروف التخلف

والاستلاب والقهر الاستعماري الذي ظل يعاني منه هذا الوطن كحقيقة ماثلة لدى أمته وأناسيه،عبر عقود من الزمن ولتاريخ بعيد المدى، ولكنه لم يخطر يوما ببال الاستعمار أن قوة الأمة تكمن في أبنائها من الذين لا يزالون يكونون وبطول زمن عاملا أساسيا من عوامل تكوينها ثقافيا واجتماعيا، وإبلاغها رشدها، وإنالتها استقلالها، إذ انه ولكل عصر أو جيل خاصته تكمن في ثناياه، حيث تظل تتكرر دون توقف،

فهذا المجاهد (سي توفيق) الطيب ابراهيم عبد الغني حفظه الله ورعاه وأمد في عمره حتى يسعد بنور هذا التأليف في دنياه، الذي نحن بصدد الانتهاء منه، واقفين عنده على جوانب متعددة من حياته، في كثير من وجوهها ومنطلقاتها الفكرية والثقافية والجهادية والسياسية، التي لم تكن مقروءة يوما بالقدر الذي صار عليه بعد هذا العمر المديد، الذي بات فيه مطلوبا أكثر من غيره إلى النشأ الجديد من أبناء هذا الوطن، وبخاصة في بابه الواسع الذي لا زال يتوافر عليه، بكثير من مصابيح بيانية تاريخية ورجالاتها من الذين كانوا ضمن رموزها الحقيقيين، حيث بات الكثير منهم اليوم يفقد مرحلته التاريخية بعد أن غدت مضامينها عند أهل التاريخ عبارة عن تحف محنطة في متحف النسيان قبل أوانها،

ومن هذا المنطلق وجدت النفس جاهزة لتدوين تاريخ هذا المجاهد السيد الطيب ابرهيم عبد الغني (سي توفيق) الذي كان ولا زال يعد الأقرب مني نسبا وحسبا، فهو من بني عمومتي واحد المقربين إلي طوعا من غير خلاف يزوى، اتجاه كثير من منطلقاتنا الفكرية وأسسها العقائدية،

ونظرا لما ظلت تختزنه حافظتي اتجاهه من معلومات وبيانات في كثير من صيغها الموروثة، ومعطياتها المنحدرة عن طريق قنوات ماضينا وحاضرنا، وانطلاقا من تكويننا النفسي التربوي الثقافي والاجتماعي، كل ذلك وغيره كثير جعلني أخصه اليوم بهذا التأليف إعجابا مني بسر مواقفه الوطنية الإنسانية والاجتماعية، التي لا زالت تترك خطوطا ونقوشا عبر مراحل حياته السياسية والاجتماعية بدءا من تاريخ مراحل ثقافته الأولى وأيام الثورة والجهاد، الأمر الذي جعل أيامه تتوافر على مادة تاريخية غزيرة تساعد على العمل في مثل هذا التأليف، فهو رجل لا زال يتمتع بحياة حافلة بما يغني أهل التاريخ بالمعرفة الحقيقة للثورة في بعدها الجهادي والتنظيمي، من التي كانت في وقتها أعمالا كبيرة، مما يجعلك تستوعب حياتها بكامل حقائقها وأفعالها ونشاطها الإنساني، مما جعلني أعتبره اليوم على أنه وبحق يعد كيانا تاريخيا للثورة الجزائرية، ضمن إطارها الحربي والسياسي، لا سيما عندما تجده حتى الآن وهو يتحدث عن تلك الثورة وأيامها وبطولاتها، ورجالاتها من المجاهدين والمناضلين وقادتها السياسيين بكامل وعي وإدراك، ووضوح بيان واتزان، مما يشيع في النفس شعورا بأنه لا يزال على قوة واتقاد ذهن، وأن الجالس إلى المجاهد السيد (سي توفيق) ليشعر أنه لم يزل لهذا المجاهد الكثير لم يقله عن أسرار الثورة وأيامها العجاف، فله في كل جلسة قصة أو حكاية تاريخية عن الثورة، يحسن تحليل نتائجها وتأويل آفاقها بحكم أفقه العلمي الواسع وتوجيهه للأفكار بما يناسب وقائعها،

فالحديث معه والجلوس إليه أمر شائق وممتع، يستهويك تحليله وتعليله للأشياء، فهو رجل مرتب في هيئته، منظم في أفكاره، بسيط في حياته،

وغيره كثير من أمثاله ممن شملهم النسيان أو كاد، ممن كانوا بحق دعاة للثورة والجهاد في أعوام، من حيث طبيعة تكوينهم الديني الثقافي والوطني، وقد كانوا بحق على درجة كبيرة من الأهمية من حيث توجيه نشاطاتهم ورسم خططهم نحو تسجيل حقائق تاريخية كانت لهم اتجاه الثورة الجزائرية وأهدافها ومبادئها يومئذ، من التي أذهلت الاستعمار وأفشلت خططه وضيعت آماله، التي كان يسعى من ورائها إلى إبعاد هذه الأمة عن معين ثقافتها العربية الإسلامية، وجعلها تابعة لثقافته العلمانية الغربية ذات الاتجاهات الفكرية والسلوكية المنحرفة، لأن التغيير عادة ما يصيب كل مظاهر الحياة الإنسانية لتناسب شكلها الزماني والمكاني، فما بالك بما غاب منها واندثر من سير هؤلاء وأخبارهم من الذين كانوا يمثلون رموز الثورة ورجالات من الذين ميز الله بهم أفراد هذه الأمة الجزائرية بعضها عن بعض، وذلك بما أعطاها الله من القدرة الصالحة والجهاد بالنفس والمال، حتى أن الكثير من هؤلاء المجاهدين من الذين نذروا أنفسهم للجهاد في سبيل الله بات تاريخهم وبطول زمن يروى ضمن مأثورات شعبية أو قصص مروية ليس لها من الحقيقة إلا ما يلقى عليها من طبيعتها العملية الإيصالية والإلقائية، أو ما شبه ذلك،

ولفضل الجهاد يقول على ابن أبي طالب رضي الله عنه في إحدى خطبه قوله[1]: (.. أما بعد، فإن الجهاد باب من أبواب الجنة، فتحه الله لخاصة أوليائه، وهو لباس التقوى، ودرع الله الحصينة، وجنته الوثيقة، فمن تركه رغبة عنه ألبسه الله ثوب الذل، وشمله بالبلاء ولزمه الصغار....)، وهو وصف جامع

[1] البيان والتبيين الجزء الثاني ص: 53 وما بعدها، طبع مكتبة الخانجي القاهرة 1388 هـ 1969 لميلاد،

لما يستحقه المجاهد في سبيل الله من درجات في سمو منزلة عند الله، وسعاد في الدارين، الآخرة والحياة الدنيا،

وقد وردت عدة آيات تعظم الجهاد وتجعل أهله من الفائزين بالجنة، قال تعالى[2]: (الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون)

وعليه فإننا نقول إن الثورة الجزائرية بحجمها الكبير وبما ظلت تحمله من رياح الثقافات التحررية الوافدة منها والوطنية، من التي مازجت وجدانها الديني وأحاسيسها العقائدي، جعل من اندلاعها ألا تكون وليدة خواطر فكرية عابرة فحسب، بل لا بد لها من مرجعية تؤسس لها بعدها الإنساني الفكري والثقافي، السياسي والجهادي،

وما تلكم الحركات الوطنية[3] التي ظلت تمتد إليها من أعماق المجتمعات العربية الإسلامية والشعوب المناهضة للاستعمار بشتى أشكاله، إلا جزء يسير من تلك الروافد التي ظل يتشبع بها أبناء هذا الوطن الخيرين من أهل العلم وحملة كتاب الله، لهي خير دليل على تلقيها القسط الوافر من أسباب القوة والتغيير والمطالبة باستقلالية وطنها، التي كثيرا ما كانت تصطدم بشرعية الاستعمار المبنية على إخضاع الشعوب وإذلالها بالقوة، وهدر كرامتها وقدسية روابط أسرها، في منهج فكري إلحادي، المبني على اتجاهات فكرية وسلوكية منحرفة،

---

[2] الآية 20 من سورة التوبة،

[3] أنظر كتاب تاريخ الجزائر في القديم والحديث لمبارك بن محمد الهلال الميلي، طبع مكتبة النهضة الجزائرية، الجزائر، وكاتب الجزائر، لأحمد توفيق المدني، منشورات دار الكتاب، البليدة الجزائر، وكتاب (الحركة الوطنية الجزائرية) ، للدكتور أبو القاسم سعد الله ،

سعيا منه في الاحتفاظ بشتى الوسائل على مناطق نفوذه داخل مستعمراته التي غنمها بقوة السلاح ومساعدة البعض من أعوانه للإبقاء على كيانه ووجوده، كذاك الذي فعلته مع شعوب المغرب العربي الكبير، والقارة الإفريقية، وأحلافها الأوربيون،

ونظرا لما أصاب مجتمعاتنا العربية الإسلامية من عوامل التفكك والتخلف، وهو واقع قد بلغ ذروته في زمان غير بعيد من زماننا، حيث كانت هذه الأمة أشد ما تكون فيه حاجة إلى رأب الصدع، وتعبئة قواها، وتضامن أفرادها، وتوحيد سياستها واستراتيجياتها، لتواجه ضراوة المخططات العدوانية الاستعمارية التي ظلت تحاك لأمتنا العربية الإسلامية فوق أراضيها وعلى أوطانها،

وعليه فإنه بات من الضروري إعادة الاعتبار لرسالة المسجد وكتاتيبه القرآنية ودور التربية الدينية والثقافة والتكوين إلى دورها الطبيعي، كونها كانت يومها عظيمة الأثر، من حيث ما كان عليه أهلها من علم واسع الأفق، وقدوة حسنة مؤثرة، من تكوين روحي وعقلي وفكري ونفسي، حتى أنها أخذت بحق مكانتها زمان الاحتلال الفرنسي الريادي الفكري والثقافي في مواجهة تحدياته العدوانية، من حيث ما أنجبته من جيل كان لها بمثابة محاضن للتربية الوطنية المتكاملة، ارتفعت بها إلى تهيئة مناخ علمي ووعي فكري مناهض لتحقيق أهدافها والوصول بها إلى غاياتها المنشودة، ومن ثمراتها الفكرية والثقافية، ظهور حشد كبير من شيوخ العلم وعلوم المعرفة وحفظة كتاب الله وآخرون من الذين كانوا على درجة كبيرة من الوعي الثقافي التحرري، الاجتماعي والسياسي، ومن الزعامة الوطنية بمكان، كهذه القيادة الثورية التي كتب لها

السبق التاريخي في التخطيط لاندلاع ثورة أول نوفمبر من عام 1954 للميلاد، والتي استطاعت بمشروعيتها الوطنية وأسباب ثقافتها الاجتماعية والسياسية، أن تجمع الأمة الجزائرية حولها تحت كلمة واحدة وراية واحدة، المبنية على أسس من العقيدة الإسلامية، وبكامل ما أنزل الله فيها من شرائع وقيم وأخلاق، حيث لا تفاوت فيها ولا تفاضل إلا بمقدار قربها من الدين الإسلامي والتزامها بقيمه وأخلاقه، من غير انتماء عرقي أو حزبي أو طائفي أو تعصب أو افتخار، إلى غير ذلك من الأمور التي تتنافى وحكمة الله في خلقه، والتي بفضلها شهد الوطن عبر تاريخه المديد، العديد من الحركات الوطنية رغم ما كانت تعيشه الأمة الجزائرية يومئذ من قمع واضطهاد ، وحصار قوي شمل كل أماكن التربية والتكوين ومنابيعها الثقافية الفكرية والإنسانية، إلا أنها ظلت منتفضة مقاومة للاستعمار عبر عهودها المختلفة، ودون انقطاع أو تعب أو كلل،

فهذا الأمير عبد القادر رحمه الله وحروبه الطويلة ضد الاستعمار الفرنسي التي عمرت معه سبعة عشر سنة حتى عام 1847 للميلاد، والتي كانت كلها جهاد وقتال ونضال، وثورة أولا سيدي الشيخ التي شهدها الجنوب الجزائري عام 1881، والتي تعتبر من أطول الثورات الجزائرية والتي دامت عشرين عاما أو يزيد، من عام (1881- 1904) وثورة لالا فاطمة سومر، وثورة المقراني 1867،

إن تاريخ الحركات الوطنية في الجزائر لها تاريخ طويل، حيث ظلت الأحداث تربطها ببعضها البعض، في كثير من أبعادها الاجتماعية والسياسية

والوطنية، وصولا إلى الثورة التحريرية المباركة من عام 1954 للميلاد التي حررت البلاد والعباد،

كل هذه المساحات الثقافية والفكرية والجهادية، كانت ولا زالت تعتبر المادة الأولى لكتابة تاريخ الثورة الجزائرية ورجالاتها ، من الذين كانوا في المقاومة والجهاد شاملين لكل فكر ثوري مخلص، وعمل من شأنه تحقيق النصر والحرية والاستقلال، وتحرير الإنسان من تبعية الاستعمار وأعوانه،

ولكنه وبالرغم ما جاء منها على يد الكتاب المتتبعين، والمؤرخين الباحثين، في فضل أسلوب ومضمون إحاطة، وغزارة علم وعقل وحسن روية، فهؤلاء باتوا جميعا في التدوين على أنواع، فمنهم من اكتفي بالقدر اليسير الذي يأخذه بأطراف ثبت الحقائق أو نتف من رواياتها من التي يرى فيها النهوض بأفقه الفكري ومنهجه التاريخي، بعيدا عن كل ما يخالفها تقديما أو تأخيرا، أو حتى من الإضافات من التي لا تأخذه إلى الصواب إلا بقدر ما تُؤْمَنُ عليه قريحته، وترده إلى الاستقامة تجربته،

فهذا مجاهد[4] حمل السلاح غداة الاستقلال من عام 1962 للميلاد لا يؤخذ بقوله ولا يعتد برأيه عند أهل التدوين من كتبة التاريخ، لأنه سيساهم بها يوما صنعا وتزييفا لكثير من الحقائق، بحكم أن ما أصبح يتوافر عليه من مادة تاريخية، لم تأته جهادا وإنما جاءته إما احتكاكا بالثوار الأوائل من جهة، أو امتدادا لثقافته التعليمية غداة الاستقلال من حيث مواصلة تكوينه التعليمي وممارسته لنشاط حزبي وسياسي من جهة ثانية، وقد أصبح بحكم هذا

[4] وأعني به ذاك المجاهد: الذي حمل السلاح غداة الاستقلال وادعى لنفسه الجهاد، والجهاد منه بريء،

التكوين أو ذاك التوجه راويا لها متحايلا على مبادئها وقيمها انتماء في زور وبهتان،

وهذا مجاهد صادق أمين لكنه منسي عزل نفسه بنفسه عن الناس والمجتمع ، بحكم أن جهاده كان لله ولا مكان للشهرة والإعلام عنده، مخافة أن لا يكون جهاده لغير الله،

وآخر مغضوب عليه لا يؤخذ بقوله ولا يعتد برأيه، رغم ما يمتلكه من قابليات فكرية وقدرات ثقافية على تقديم الرواية الحقيقية والخبر اليقين، في قوة ذاكرة وتنسيق أفكار تنسيقا يساعد المؤرخ و الباحث على وضع خطة منتظمة محكمة، تمهد له الطريق في ترتيب أبواب فصول الكتابة وأبوابها،

وواحد بينهما يصول ويجول بزعمه وزعامته والناس من حوله يصدقون، ونحن بين هذا وذاك نفترض أن تكون مادة تاريخية هامة قد ضاعت أو أنها لا زالت في طي الكتمان، أو أن أصحابها لم تستيقظ ضمائرهم بعد للإدلاء بشهاداتهم، لاعتقادهم أن الوقت للإدلاء بها لم يحن بعد، ما يجعلك تحس بمضيق شديد كلما اقتربت من أحدهم بشيء من الاستفسار، وهو لا يكاد يقنعك بما تسمعه منه من جواب غير مقنع،

ونتيجة لكل ذلك تراني اليوم أقف على حقيقة دون سواها، وهو أن كتابة سير هؤلاء المجاهدين وأخبارهم من الذين حملوا السلاح وخاضوا معارك جهادا ومقاومة وبات لهم من أسلوبها ومضمونها أروع ما سجلته الثورة التحريرية الكبرى من عام 1954 للميلاد،

كل هذه المواقف وغيره كثير يجب تتركها لأهل التاريخ الأوفياء المخلصين، من الذين ليس لهم يد في سياسة الحكم أو قيادتها، وبات لهم من المادة ما

تحفظ لهم صيانتها وحقوقها، وتبعد عنهم الشبهة في المحاباة قريبها وبعيدها ، وفاسديها ومفسديها، بغية الوصول بهم إلى نتيجة مرضية يزكون بها أنفسهم عند الله والناس بعامة، وهي دون شك مسؤولية كبرى تقع على عاتق كل من تتوفر فيه تلك الفضائل الإنسانية من نزاهة وطهر وشهامة وصحوة ضمير، كأن يكون متحررا من كل قيد اجتماعي أو ثقافي، ملتزما بثوابت أمته وأخلاقها الدينية والروحية، معتمدا على نفسه من حيث الواجب الملقى على عاتقه، في نصح المجتمع وتنويره بسرده للحقائق، وهو يتحدث عن سيرة هذا المجاهد أو ذاك، من حيث ما كان عليه في جهاده ونضاله، أو ما تعرض له أثناء الاعتقال على يد الاستعمار من تعذيب جسدي، أو إرهاب نفسي- ، في عنف وقسوة وعدم احترام كرامته الإنسانة طيلة تواجده في الأسر،

وأشياء أخرى كثيرة من التي كانت ولا زالت عالقة في أذهان الكثير من هؤلاء المجاهدين أو ممن كانوا في الفدى والنضال، من المسبلين والمحبين والمنتسبين، وغيرها كثير من ألمهام من التي كان يضطلع بها الفرد داخل الثورة التحريرية، والتي كانت بحق مسؤولية كبرى ومهام عظمى لا يضطلع بها إلا من كان ذا إيمان قوي بها وبالوطن، لأن أصحابها غير حاملين للسلاح يتعرضون للموت دون تراجع أو خذلان، وقد ضرب الكثير منهم مثلا رائعا في البطولة لا نظير له، مما يستحق اليوم وغدا الثاء كل الثناء على مواقفه الوطنية وشجاعته تلك،

لقد عاشت الأمة الجزائرية من أقصاها إلى أقصاها مراحل معقدة من حياتها زمن الثورة أو قبلها بكثير، وهي تدافع بكل ما أوتيت من قوة، عن كل ما أنجزه مجتمعها العربي الإسلامي من حياة دينية إسلامية رتيبة، وعادات

وتقاليد وصفات ظلت تتبدل وتتطور بتطور المجتمع وتغير حاجاته المخبوءة وراء الظواهر المكشوفة والغير المكشوفة، وإلى اليوم وهي تعيش أياما من القلق والاضطراب النفسي اتجاه ما كان يحدث لها وللعالم أجمع من أسباب الوباء من الذي بلغ حدا لا يطاق من اليأس والقنوط، وأشياء أخرى من التي لا يستحسن ذكرها في هذا المجال،

وقد نوهت يوما في مقال لي صدر في جريدة الرأي اليومية في عددها الصادر بتاريخ الثالث من شهر نوفمبر من عام 1999 للميلاد بأحد المجاهدين الأوفياء المخلصين لثورة أول نوفمبر المجيدة، والذي هو أحد بني عمومتي الأقربين، تحت عنوان: "موضوعات منسية ومصطلحات ثورية" ولم يخطر ببالي يوما أنني سأعود إلى هذا الموضوع لأجعل منه بحثا مستقلا بذاته، يكون عندي في أصدق رواية وأعمقها وعيا وإدراكا، أسميته (المجاهد الطيب ابراهيم عبد الغني ـ سي توفيق ـ سيرة وجهاد) مع إحاطة فهم واستيعاب فكر جاء فيه: (...ولهذا نحن نتقدم بكل أمانة وإخلاص إلى المعنيين في هذه المنطقة بالثورة الجزائرية وتاريخها، أن يبادروا لتسجيل ما في ذهن هذا المجاهد[5] من أخبار وتجارب لتنتفع منها أجيالنا الحالية والقادمة، وما رافقها من تنظيم وعمل وإدارة وأعلام وأجهزة لمصالح الشعب يومئذ في مجال الصحة والقضاء والجمارك والمصالح الأخرى من التي تدخل في أعماق مصلحة الثورة الجزائرية ..)

---

[5] أعني به السيد "توفيق" أنظر في ترجمته كتابنا " تاريخ امهاجة بين المدلول اللغوي والرسوخ الجغرافي والامتداد التاريخي، ص: 319، ديوان المطبوعات الجامعية، 1422 هـ 2202 م وبحوث أخرى صدرت لي هنا وهناك، سيأتي ذكرها داخل البحث مفصلة إن شاء الله،

وإن كانت الرغبة في دراسة سير هؤلاء المجاهدين ، كانت تقف عندي في مقدمة ما كنت أصبو إليه منذ زمن، لما وجدته فيها من أحداث لا تزال في كثير من نواحيها متسعة ومتشعبة حينا، وغامضة ومبهمة حينا آخر، من التي تجعل الاستحالة عند أي كاتب أو باحث مؤرخ، أن يلم بكامل أبعادها الجهادية وحقائقها التاريخية، وجوانب نشاطها السياسي والنضالي،

ونظرا لكونه لا يزال محافظا على مبادئه الثورية والجهادية، نائيا بأخلاقه عن كل مطعن أو مغمز المعادي لشهادة الزور التي فشت في زماننا اليوم، والتي هي في الشهادة للجهاد أكثر، وهو الموضوع لا يزال في نظري يشغل بال الكثير من ذوي الإخلاص والعمل الصالح، معتبرين إياه على أنه من أهم الموضوعات الحساسة للثورة الذي يجب الاهتمام بها من حيث إعادة النظر بمعلوماتها التاريخية التي تتصل بماضي جماعتها المصنفة تصنيفا جماديا بدرجاتها المختلفة، ما دامت في نظرهم مادتها الأولي حية باقية عند الكثير ممن لا يزالون على قيد الحياة، وهي على السائل والمسئول أمانة الشهادة ورقابة الضمير في محاسبة النفس بالتصريح الكاذب والقول الحق، والتي هي أمانة يجب الدفاع عنها حتى لا تمسها يد كائن من كان بسوء أو زور أو بهتان، على أن الشهادة من غير حق تعد من كبائر الإثم التي ينهى عنها ديننا الحنيف لما يترتب على التمادي فيها من أسوأ ما يصاب بها مجتمعنا الذي ننشد أن تستقيم أموره، وفي ذلك يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم "ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ثلاثا، قالوا بلى، قال: الإشراك بالله، وعقوق الوالدين وجلس، وكان متكئا، ثم قال ألا وقول الزور، فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت.."

وفي حديث آخر يقول عليه الصلاة والسلام "لا تجوز شهادة خائن ولا خائنة ولا ذي غمز على أخيه، ولا تجوز شهادة القانع لأهل البيت" صدق رسول الله صلى الله صلى الله عليه وسلم،

ذلكم أثر كريمحذر فيه الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم، على شهادة الزور، كذلك لم يكن الإسلام ليغفل أمر من تسول له نفوسه كتمان الشهادة إذا ما دعي إليها، لقوله تعالى "ولا تكتم الشهادة ومن يكتمها فإنه آثم قلبه والله بما تعملون عليم"

فما أكثر شهادة الزور اليوم التي أصبحت وزرا على الكثير من أهل الحياة الدنيا، حتى حمَّلت الكثير منهم التعاسة والشقاء وقد أصبحت حياتهم عبارة عن حلقات متصلة بالإثم والآلام،

وهذا لا يعني أن هذه الأسرة المميزة عندنا بكل ما تحمله من خصائص ذات قيمة تاريخية ومآثر وطنية، التي شرفت البلاد والعباد يوما بمواقفها الوطنية وبجهادها ونضالها وتفانيها في التضحية والفدى في سبيل الوطن، أنها أصبحت غير قادرة على تصفية نفسها بنفسها، ما دام أهل الخير فيها هم في الصدق والأمانة أحق وما أكثرهم، وهم رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه،

ومن هنا كان لا بد لنا أن نتعرف على مواطن الضعف والقوة فيما قام به غيرنا من عمل اتجاه هؤلاء حتى نصبح أكثر قدرة في تحقيق أهداف تكون منسجمة مع بعضها البعض، عن حقيقة الثورة ورجالاتها الخلص، بعيدا عن التناقض أو التضارب فيما نقول أو نكتب،

وهذا يعني أنه من الضروري أن نحدد المعايير التي على ضوئها سنحدد أهداف هذا البحث والعمل فيه، حتى يكون لعملنا هذا منهجا صادقا وعملا

منظما وفق أهداف محددة وواضحة، ذ غير مقتصر- على جانب واحد أو رافد من روافد عملنا اتجاه هذا أو ذاك، حتى يتسع عملية البحث في جمع المادة، بحيث تشمل كل الدراسات والخبرات الفكرية والثقافية والإنسانية والمعلومات والاتجاهات والميول والقيم والأخلاق التي سادت جو هذه الشريحة من الشهداء والمجاهدين، من التي كان له دور إيجابي وفعال من حيث توجيهها وأهدافها المنشودة نحو الحرية والاستقلال،

لقد مدت الثورة الجزائرية رجالاتها بكثير من التقديرات النفسية منها والمادية، وقد تفاعل معها الشعب الجزائري يومئذ بكامل أطيافه، حتى أصبح كل عضو فيها طرفا نشِطاً وفعَّالا في عملية التوجيه النضالي والسياسي والعمل الثوري والتنظيمي ، وبخاصة ما كان منها من حملة كتاب الله وسنة نبيه الكريم، من الذين تلقوا علومهم على أساتذة وشيوخ أكفاء تعَهَّدُوهم برعايتهم الكاملة وأحاطوهم بعنايتهم الصادقة وبآفاق علمية جديرة مرجوة، ما جعلتهم يكونون من أول المحفزين لكثير من النفوس الجزائرية من التي كانت على الدوام تشعر بالظلم والذل والهوان من طرف الاستعمار الفرنسي- مؤيدة مناهضة له، وقد تمثل ذلك في كثير من الشخصيان الدينية والسياسية الثائرة[6]،

تلكُمُ أهم النقاط التي ارتكز عليها عملنا في الحديث عن سيرة هذا المجاهد السيد (الطيب ابراهيم عبد الغني سي "توفيق") الذي كنت أري فيه على الدوام الاستقامة في الرأي واتخاذ القرار، كونه كانت أيامه بيننا ومنذ الصغر

---

[6] أنظر كتابنا - تاريخ امهاجة بين المدلول اللغوي والرسوخ الجغرافي والامتداد التاريخي - ديوان المطبوعات الجامعية وهران، 1422 هـ 2002 م

يتمتع فيها بشخصية قوية، كثيرا ما كان يضاهي بها الكبار، فكيف لا وهو الذي اختار الالتحاق بالثورة التحريرية داخل الوطن من تلقاء نفسه وهو طالب بجامعة الزيتونة، بينما اختار غيره مواصلة الدراسة، وقد جاء هذا الخيار عنده يومئذ مبنيا على مفهومية أكثر دلالة وأقوى معنى لكثير مما كانت عليه ثقافته ووطنيته، ونجح فيها نجاحا ليس بذاك الهين حيث تولى قيادة جيش يشمل مجاله منطقة كاملة بمفهومها الإداري والجهادي، وعمره لا يتجاوز الثالثة والثلاثين، آخذا اسم (توفيق) علما له، وذلك حسبما جرت عليه التقاليد الثورية يومئذ، من تسميته إسما من أسماء الثورة حفاظا على متابعته من طرف الاستعمار وتظليلا له في كثير من أبعاده، وبات هذا الاسم من يومه متداولا في صفوف القيادة الثورية لجيش التحرير الوطنى،

وعليه وللحقيقة أقول: لقد عاشرت هذا المجاهد طفلا وأنا في عمر لم تكن سنة تزيد قليلا على العشر، وتوافقت معه في عمر مديد وإلى اليوم، قضيناها سويا في سمو معنى وعمق أهداف، متوافقين غير مختلفين في كثير من الأسباب والغايات، كتوما للأسرار، وفيا عند الشدائد، وهو كما هو ـ أبقاه الله ورعاه ـ وإلى اليوم يعيش حياةَ محبةٍ ورضي لأسرته وأهله، تتقدمه طاعتُهُ لكبيرهم وصغيرهم، وتسبقه نصيحته إليهم، بحكمة القول والفكر والنصح،

حفظه الله أخي السيد (عبد الغني الطيب ابراهيم) ورعاه، معتذرا إليه إن أجزت أو أطلت بهذا الغرض أو ذاك، ويعلم الله كم كنت فيه مرتبطا بحسن الحيطة والحذر وصدق القول، بعيدا عن سِنَةِ التهاون من حيث استيراد المعلومة أو تبيان الخبر أو الرواية، من غير جهالةِ معرفة ولله أمرٌ هو بالغه سبحانه وتعالى، وقد جعل لكل شيء قدرا،

نسأله الرضا بقضائه والشكر على السالف والراهن من آلائه،

عمار المهاجي

تمهيد

يجدر بنا أن نشير إلى أننا في توزيعنا لهذه المادة التاريخية على مباحث هذا الكتاب، لم نعتمد فيها منهجا علميا واضحا يمكن الاعتماد عليه في ترتيبها، من حيث التقديم والتأخير لأن عملنا بالدرجة الأولى يعتمد على الدراسات الحقلية والعمل الميداني، وقليل من النظر فيه، كونه جهد محدود الأهداف والغايات، نسعى من ورائه إلى التصنيف والتعريف بكثير من مصطلحات ثورية، وأعمال تاريخية، وأيام جهادية، ومواقف وطنية، وكل ما له علاقة بسيرة هذا المجاهد السيد الطيب ابراهيم عبد الغني، عبر تاريخه المديد الذي ظل يمتزج بحياته

الممتدة من قلب قريته المعروفة (بقرية أولاد سيدي الفريح المهاجي) من أرض القعدة من بادية امهاجة، التي لا زالت تلاقي إقبالا من بعض المعنيين في حقل المعرفة والثقافة العربية الإسلامية،

حتى أقرب إلى ذهن القارئ الكريم ما اشتملت عليه حياة هذا المجاهد، رغم ما كانت عليه البلاد يومئذ، وهي تعيش تحت ظل الاستعمار الفرنسي في عقود من الزمن، من تحديات مختلفة وضغوط نفسية، وطبيعة ومناخ لا زال الاستعمار يعمل وبكل قواه على إخمال عقول هذه الأمة، وإضعافها وإخفائها من وجودها التاريخي ماديا ومعنويا حتى لن يكون لها وجود يوما يجعلها ترتبط بقضيتها الوطنية الجوهرية ذات البعد الجهادي والنضالي،

ولكنه ومع صعوبته وقلة مادته إلا أننا وجدنا العمل فيه يقوم على الترابط العضوي كأساس لتنظيم البحث الميداني، وهذا لا يعني أنه يمنع الباحث أو الدارس من تحليل ظاهرة سياسية تاريخية ثورية معينة، أو جانبا محددا من جوانب تنظيمها الثوري، أو التعريف بإحدى ظواهرها التاريخية، حيث يكون البحث فيها ممكنا لفهم نوعيتها وإدراك حقيقتها، لتختار منها بعد جهد ما يلقى في نفسك قبولا وعند القارئ رضا واطمئنانا،

وسوف ننتقي في هذا العمل إن شاء الله، أحداثا لسيرة هذا الرجل انتقاء ملائما، بحيث يتم تحليلها تحليلا تاريخيا لمراحل زمانها إن أمكننا ذلك، وعرضها حسبما تقتضيه مادتها التاريخية بطريقة متسلسلة الجوانب، محبوكة الأفكار، في إطار أنيق ولغة سليمة بعيدة عن الصنعة والتكلف، حتى يلتمس القارئ الصدق في المضمون والأسلوب، من حيث ما ظلت تسمو به خصوصيته العقائدية،

وطموحاته الإنسانية في ظل وجدان نابض وخيال واسع، متطلعا إلى مستقبل واعد مشرق باسم، يعيشه كإنسان حر كريم عزيز النفس،

إن المعلومات التي يتوافر عليها المجاهد الطيب ابراهيم عبد الغني سي "توفيق" اليوم عن الثورة ورجالاتها تجعلنا نتعرف بوضوح على ما كانت عليه تقسيماتها الإدارية وتنظيماتها الإيديولوجية النابعة من أصالتها العربية وموروثها الإسلامي في عمقها التاريخ والوطني والقومي، وأعمالها السياسية والنضالية، كل يمارس سلطته فيما أوكل إليه من مهام، كثيرا ما تطول آمادها وتقصر، وتتسع أبعادها دفاعا وهجوما، ومقاومة أخرى بالشهادة تارة وبالعمر المديد تارة أخرى،

إن وظيفة المصطلح في أي حقل من حقول الدراسات الحديثة، هي حقيقة لا تشذ عنها أية منهجية في عالم الجمع والتدوين، وأن السعي لإظهارها في مثل هذا البحث الميداني لثورة أول نوفمبر من عام 1954 للميلاد أو قبله بكثير هو أمر أساسي لا جدال فيه، فهو متواجد في كثير من حقول اجتماعية وعلمية أخرى، وهو اتجاه جديد يدعو إلى خلق درجة من التعاون والتنسيق بين ذوي الاختصاص والاتجاهات المختلفة التي تستعين ببعضها البعض، في جهد مشترك ينطوي على دراسة وحدة إقليمية معينة، لأي ثورة كانت، أو إيديولوجيات سياسية حزبية، أو لبلدة حضارية، أو قرية أو عشيرة شهدت أعلاما ووجوها في التاريخ، وأياما ضاربة في عمق الحضارات، بحيث يصبح لكل واحد منهم دورا يؤديه في تزويد الآخر بعمل ينسجم وطبيعة اختصاصه بصورة مكملة له ومتعاونة معه،

وهو الأمر الذي بنينا على ضوئه عملنا في مثل هذه الدراسة التاريخية مع السيد المجاهد الطيب ابراهيم عبد الغني سي "توفيق" الذي لا زال يستند على حقائق تاريخية في سرده لأحداث الثورة التي غرست الكثير من الآلام في نفسه، فهو رجل لا تزال تكْمُنُ في داخله قوة هائلة من الأفكار تتحسسها كلما مضيت في قراءتك للأحداث معه، حيث تشعر بأن جميع عوالم الحقيقة تتفاعل في ذهنه، الشيء الذي يمد بصرك ويفتح عليك سماواتك الخاصة أمام عينيك للخلق والإبداع بشيء من التوتر أو الإحساس العنيف تارة، والتأثر الروحي والشعور العميق بالتوقع والأمل الذي هو بمثابة المحرك للحقيقة والخيال تارة أخرى،

وإننا سنحاول بهذا الجهد إن شاء الله تعالى أن نقف على الكثير من أنظمتها السياسية وقوانينها الإدارية التي نشأت على ضوئها مختلف المؤسسات الثورية التي ضبطت بها سلوكها ومقوية بها حركتها وحقوقها، في العمل الثوري والجهادي والسياسي والنضالي،

وستكون لي وقفة حول موضوع الحركة الثقافية[7] التي شهدتها الجزائر يومئذ، والتي قادها الكثير من الشيوخ الفقهاء والعلماء الأدباء، وحملة كتاب الله، حيث عملت هذه الفئات على مختلف شرائحها جهدا كبيرا لأجيال وأجيال وبطول زمن، على غرس الآداب في نفوس أبناء الشعب الجزائري، والخلق الكريم والتقى والدين، والعلم والحلم، الشيء الذي مكن الكثير من أبنائه التمرس في كل علم، والتخصص في كل فن، فأجادوا في الفقه والحديث والكلام

[7] أنظر أبو القاسم سعد الله، ـ تاريخ الجزائر الثقافيـ الجزء الرابع، دار الغرب الإسلامي بيروت لبنان،

وعلم النحو واللغة والآداب، وفي علوم أخرى كثيرة، وفي الحرب والسياسة والجهاد والنضال، حتى بلغ الكثير منهم الدرجة العالية والمنزلة الرفيعة بين علماء عصره، وساسات قومه، وقد كانت الكثرة الكثيرة فيهم من الفقراء والضعفاء والمساكين، وممن عرفوا بالوجاهة والثراء منهم قليل،

وسنأتي في الجزء الثاني من هذه الدراسة على ذكر الكثير ممن لعبوا دورا فعالا في الحركة الثقافية الوطنية، وكانوا أهلا للفخر والتواضع في إرادة تعبيرها وتمكين أسلوبها، وزيادة بَيَانِ المقصود منها، بفضل نزعتهم العربية الإسلامية، وشجاعتهم وإيمانهم وقناعتهم بأحقيتهم في العيش تحت وطن حر مستقل آمن،

فكانت مناهضتهم للاستعمار رغبة مبكرة فيهم، وكانت مقاومتهم لها تتقدم كل واجب، فكانوا في صفوفها الأولى غداة اندلاعها، قادة وجنودا مسبلين وفدائيين، مناضلين وسياسيين،

وسنأتي أيضا على ذكر الكثير من الحالات التي تلقي الضوء على شخصيات منهم ممن كانوا على درجة عالية من الثوابت الوطنية والمواقف السياسية والجهادية لعلها تعطي أبعادا مفيدة للقضية المبحوثة لدينا داخل هذا التأليف،

وقد تكشف لنا هذه الظاهرة داخل القسم الثاني من هذا العمل، على نواحي كثيرة أو جوانب على غاية من الأهمية للثورة الجزائرية، بحوله تعالى وحسن عونه،

كما انه من الحق علينا أن تأخذ هذه الجوانب مكانها في كل مجهوداتنا العلمية وأعمالنا الأدبية والدينية والتاريخية، وبخاصة منه نظمنا التربوية والدينية، المنتشرة عبر معاهدنا العليا وجامعاتنا التعليمية العالية، وإلى جانب تدريس أصول العلوم الأخرى ذات الطابع العلمي بحت، حتى تصبح بذلك هذه

الدراسة حول الثورة ورجالاتها وعاء لأجل فكرة يحملها الشعب الجزائري من أقصاه إلى أقصاه، وحتى يكون عملنا فيه شيء من الانسجام والمعقولية مغروزا عميقا في خُلقِنا قبل فكرنا،

وإلا لتعرضت أعمالنا للتغيير تحت تأثير طرز اجتماعية أخرى كثيرة، إذ أنه ومن عادات العمل الجاد والفكر النير، الذي يتم تكوينه في هذه الظاهرة أو تلك، أن لا يكون عملا ارتجاليا غير موثق، أو تكرارا غير مرتب، أو نتيجة تقليد يكون المقصود منه تطريز عمل ما، أو توشيح مرحلة تاريخية بعينها، أو شخصية بذاتها، حجتنا في ذلك أن يعيش عملنا زمانه بحاجاته وأغراضها المنشودة، وفق دليل يذكر، أو مادة ملموسة مروية كانت أم مقروءة، وبهذه الصورة لا يفقد أي عمل التمييز بين الآثار الحسنة أو السيئة ويعطي في أحسن حاله نتيجة تذكر،

ويبدو من الأخبار والروايات التاريخية وبما جاءت به مصادرها المتواترة، أن الجزائر عاشت عصورا مضطربة بسبب ضعف الدويلات التي تمتعت بالحكم فيها والتي بلغت حدا كبيرا من الضعف والانهيار، وذلك بسبب حكامها وانشغال الناس في الخصومات الطائفية والمذهبية وتسلط العنصر التركي على الجزائر ودخول فرنسا حتى عام 1962 للميلاد، كلها عوامل جعلت من الثقافة الجزائرية أن تقتصر على الدراسات الدينية في المساجد والكتاتيب القرآنية حتى أصبح الناس يومئذ على قلة من ذوي الرغبة في تعلم القراءة والكتابة وفي العلم والمعرفة، لعد وجد أصحاب الثقافة العالية، والعلم النافع، والدرس القويم،

وبذلك أرى أن الثورة الجزائرية لا تزال عند الكثير من جيل الاستقلال وإلى اليوم غير معروفة كما يجب أن تكون في مناهج الدراسة لأغلبية المراحل

فيها، وحتى مرحلة التعليم الجامعي هي الأخرى تشكو من أي فعالية من فعاليات ذلك، حيث لا يزال هذا الجانب غير معروف لديها، ولا وجود له في مناهج تثقيف الناشئة عبر مستوياتها المختلفة ومناهجها التربوية، بينما سبقتنا أمم كثيرة في هذا المضمار، فذكرت الطبيب والمهندس والمساعد والمؤرخ والأديب ورجل العلم والسياسة والدين إلى جانب دور المجاهد في القتال وإدارة المعارك بما يستحق وبما يجب التذكير به، والفلاح ودوره الفعال في تثقيف الأرض وإصلاحها غرسا في نبت وزرع وثمار، وبذلك نتجنب الرواية الواحدة التي تدعو إلى الاكتفاء بما أخبر به المحدثون الضعفاء من الآثار الثورية التي لا تزال عند الكثير تمثل العقلية الجامدة، من التي لا تؤمن بتعدد المصدر والمرجع والإبداع الإنساني في مختلف الدهور والأزمان،

ولكنه ورغم ما أصاب الجزائر في تلك العصور من ضعف وانحطاط إلى أن الثقافة الإسلامية في ظلها ظلت مزدهرة بسبب عوامل كثيرة منها، نضوج الحركة الفكرية الأدبية والعلمية بفضل الاحتكاك الكبير الذي كان سببه وفادة الكثير من علماء المشرق والأندلس، في كثير من علوم الفقه واللغة وعلوم الشريعة والدين، وفي الشعر والنثر والآداب، على الشمال الأفريقي، وبخاصة منها أرض الجزائر التي شهدت انتشارا واسعا لبيوتات العلم ودور الثقافة والتربية والتكوين[8]، كبجاية ومدينة تنس وبادية امهاجة من أرض القعدة، وندرومة،وتلمسان ووهران والقيروان وفاس ومكناس، وبيوتات أخرى كثيرة من التي شهدتها أرض الأندلس،

---

[8]أنظر كتابنا وهران تاريخ وثقافة، ص: .15 وما بعدها، دار الأديب للنشر والتوزيع، السانيا وهران، 2005. وتاريخ الجزائر الثقافي، مصدر سابق.

وقد ظهر على مسرح هذه العلوم، يومئذ عدة شخصيات أدبية وعلمية ودينية، التي تمكنت من تنسيق جهودها والتعاون فيما بينها في كثير من ميادين أمورها المختلفة، من التي كانت تعانيها بلاد المغرب العربي يومئذ والجزائر بخاصة في ظل الاستعمار الفرنسي الذي جثم على أنفاسها طيلة قرن من الزمن أو يزيد، واستطاعت أن تحول قضيتها من مستواها الضيق إلى المستوى العالمي الواسع النطاق، بسعيها إلى التعامل معها بشيء من المرونة المباشرة وغير المباشرة، والتي تمكنت بها هذه الأمم من تحقيق جو أقل ما يمكن وصفه به أنه أكثر إنسانية، كالتفاوض المباشر مع الاستعمار والمساعي الحميدة التي سعت إليها الكثير من الدول العربية الشقيقة والصديقة من التي كسبت ودها في قضيتها العادلة، إلى غير ذلك من النشاطات التي قام بها أفراد من قاداتها الوطنيين المخلصين أثناء تواجدهم بأرض المهجر، من التي كانت على تتميز بالكفاءة العالية، والثقافة الوطنية الثورية، الواسعة الاطلاع والتجربة في الشؤون الدولية منها والوطنية،

ويأتي في مقدمة هؤلاء صاحب ترجمتنا السيد (المجاهد الطيب ابراهيم عبد الغني المدعو : سي توفيق) الذي أفردناه بهذا البحث من هذه الكتاب، بسيرته الذاتية وأعماله الجهادية ومواقفه السياسية وشهاداته الثورية التي ارتبطت بها أيامه في الكفاح المسلح في كثير من الأمكنة من التي شهد ساحتها القتالية، إما على هضبات متوعرة من الجبال يصعب على العدو منالهم ويزداد امتناعهم وحصنهم، وذلك بفضل تماسكهم وتضامنهم ووجود قادة موجهين، كاسبين ثقة المجاهد والمواطن والمسبل، حتى جعلوهم ينظرون إليهم نظرة إكبار وإجلال ويصغون إليهم بكل جوارحهم ويستجيبون لنداءاتهم ويتأثرون بدعوتهم،

وقد كانوا للثورة بحق رجالات على درجة عالية من التجربة القتالية والحنكة الميدانية في مخادعة العدو في كل وقت وحين بإيمان قوي، وبأسلحة زهيدة وأمتعة قليلة، فينالون منه ما ينالون من غنيمة مادية وأمتعة قتالية، والله المستعان،

مولده ونشأته

ولد السيد عبد الغني (الطيب ابراهيم) المعروف ب: (توفيق)[9]، ولد عبد القادر ولد عبد القادر ولد بن عبد الله ولد الطيب ولد مصطفى ولد سيدي الفريح المهاجي . . .) في بيت عرف بالعلم والفضل والآداب، من عام 1932 للميلاد، بقرية أولاد سيدي الفريح المهاجي من أرض القعدة، وفي رحابها وتحت ظلالها نشأ وترعرع، وتأدب بآدابها كغيره من فتيان القرية من بني عمومته، وهي نشأة كانت له ولغيره أهلا لكل فضل، ومنبعا لكل مكرمة، بدءا

[9] أنظر كتابنا (الأثر الآفل والكفيل الغافل في حلى أرض القعدة من بادية امحاجة بعد ثقافي وتواصل إنساني) ص: 291 وما بعدها ، طبع دار الأديب وهران ، 2021 للميلاد، وكتاب الأثر الزاهر في ذكر النسب الطاهر ص:265 وما بعدها، ديوان المطبوعات الجامعية وهران 1998 للميلاد

بتلقيه أولية علومه في القراءة والكتابة وحفظ سور وآيات من القرآن الكريم على يد مجموعة من الشيوخ الفقهاء، إلى أن حفظ القرآن حفظا جيدا رسما تلاوة وترتيلا، والتي بها يحصل الطالب على إجازة لحفظ القرآن الكريم في حفل تكريمي يحضره جمع غفير من الفقهاء وحفظة كتاب الله، ممن شهد لهم بالصفات الكريمة، والمآثر المشهودة، تخول له الالتحاق بدور العلم ومراكز الثقافة والتربية والتكوين، داخل الوطن وخارجه،

وقد كانت لهذه النشأة أثر كبير في حياته السيد (عبد الغني)، حيث شب وترعرع في قرية[10] تناهت فيها آفاق علوم المعرفة والدين، وراثة أبا عن جد جيل بعد جيل، ما جعل غرسها ينمو، وعودها يستقيم، وثمرها تنضج بكثير من الصلاح والفلاح، في ذرية طيبة صالحة، ونشأ جديد يكون شرفا لأهلها وحسبا لأعقابها حتى تُصان وتُحْضَرُ، نظرا لما كانت عليه أيامها، من حيث حسن السيرة والتربية والتكوين النفسي الديني والعقائدي، قصد أن تبلغ بهم القرية مداها التاريخي وبعدها الإنساني، في عمل محقق للقول بالفعل،

لقد كانت هذه القرية على الدوام، تمثل حظيرة للعلم والعلماء، لما كان لها من اتصال مباشر وغير مباشر بحواضر العلم المنتشرة يومئذ عبر محيطها الجغرافي، وقد بات لها شأن كبير من حيث استقبال العلماء الوافدين وتكريمهم من الذين كانوا لها يوما في وفادة علمية تعليمية، ما أطال ذكر فضل أهلها علما وعملا وكرما،

---

[10] أنظر كتاب (الأثر الآفل والكفيل الغافل في حلى أرض القعدة من بادية امهاجة بعد ثقافي وتواصل إنساني) ص: 254 وما بعدها ، طبع دار الأديب وهران ، 2021 للميلاد،

ولا زالت الكثير من التسامي لهؤلاء الشيوخ الفقهاء يتردد صداها عند آل امهاجة، من أرض القعدة، كونها كانت وبفضل بيئتها العربية الإسلامية محط أنظار العلماء، الوافدين من المشرق العربي وإلى أرض المغرب والأندلس، من الذين أفاء نورهم على أرضها، من حيث ما كان لها من منهج عربي إسلامي صحيح في أسلم عقيدة وأعمق إيمان، ما جعل العلاقة بينهما تدوم في كثير من المحبة وسماحة الخلق، وطيدة الأركان عميقة الجذور في سنين،

وقد ظلت هذه العلاقة بين آل امهاجة من أرض القعدة والمشرق العربي وأجزاء من أرض المغرب والأندلس فسيحة ناصعة مديدة إلى غير ما حدود، ولي من الأخبار والروايات في ذلك كثير، وإني لأراها جديرة بأن تسجل بما يتفق وسمو أهدافها الفكرية والثقافية من التي لا زالت ترفع أهل العلم من آل امهاجة دراجات من السمو من التي لا يمكن إغفالها[11]،

فهذا شيخ فاضل وعالم جليل، المعروف بالشيخ الوائلي السني البغدادي[12] النحوي اللغوي يترك بغداد مهاجرا بحثا عن أماكن العلم وأهله، عبر أماكنه العربية الإسلامية، حاملا معه آثارا جليلة علمية وأدبية واسعة الأفق، من التي أورثها مجتمعه العربي الإسلامي الأصيل ببغداد من أرض الرافدين من بادية العرب عبر عهود من الزمن، تاركا وراءه نصا مفاده أن زيارته لآل امهاجة

---

[11] كل هذه الأخبار والروايات وغيرها كثير سآتي عليها ضمن الجزء الثاني من كتاب (الأثر الآفل والكفيل الغافل في حلى أرض القعدة من بادية امهاجة بعد ثقافي وتواصل إنساني) والذي هو عبارة عن بحوث ودراسات حول عدد من المخطوطات من التي استفاضت الكثير من الأخبار والروايات عنهم،

[12] أنظر كتابنا (أدب الوفود حوار ثقافي وتبادل إنساني) ص: 98 وما بعدها، مصدر سابق،

من أرض القعدة، كانت تجديدا له في كثير من إضافات علمية لغة ودينا، وقد وردت بهذا الشكل فيما وقفنا عليه في بعض مصادرنا قوله: (.. وطبيعي أن تكون هذه التفسيرات وبما تحمله من تفسيرات قابلة لأن تكون مادة بحث، وتخريجات علمية تكاد تكون مغرقة في الغيبية الفكرية العلمية، إلا أنها لا تخلو من حقيقة واقعة كونها لا زالت مادتها العلمية في بطون أمهات الكتب والتفاسير ترتبط بين التحول الدينية العقائدي، والتحول الاجتماعي في كثير من أبعاده الأخلاقية والخلقية، فبارك الله للشيخ الفقيه سيدي عبد القادر بن سيدي المصطفى بالفريج المهاجي الذي هو من آل البيت رضوان الله عليهم، على هذه التخريجات التي أخذت بمجاميع القلوب وتثبيت العقيدة الإسلامية السمحاء، في أعماق النفس، وسيتصل بنا لدى التعليق والتفسير حول الشاهد القرآني الذي استدل به شيخنا الفاضل، أيد الله علمه وجعله في ميزان حسناته، حديثا عن مدلولات أخرى لهذا التفسير الرباني وما ورد فيه من تخريج وتأويل حول ما جاء بت، بنص القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف ليلة جلسة الغد إن شاء الله تعالى .... ،)[13]

وله في أخرى قوله: (.. لقد تسللت مادة الدرس المذكور للشيخ سيدي الحاج محمد بالفريج المهاجي حول حديثه عن مادة النصوص التلبوية كونها تتحد في مقدمتها بأنها موحدة بصيغة توحيدية، وهذا ما جعل العلماء الأوائل يلتفتون إلى حقيقة أن العرب كانوا قبل الإسلام يوحدون خالقهم بالتلبية، وهو اصطلاح اشتق من أول لفظة في عبارة التلبية نفسها، وهي لفظة لبيك،

---

[13] أنظر كتاب الوصل في ذكر رجال العلم وأهل المقامات لأحمد بن يحي بن المهدي بن عبد الله الحرشاوي التلمساني المتوفى عام 1236 هـ الورقة: 38 وما بعدها، من المخطوط ،

وقاعدتها الموحدة المشتركة في الجاهلية والإسلام، وهو كلام جاءتني بدايته غريبة، فضللت أبحث عن قاعدة له في كثير من قراءاتي، لكنني وجدت الجواب عنده وقد استحسنته ووافقه الرأي في كثير من أبعاده، وبقليل من القول يصل بك إلى إقناع فكري، خلاصته إن الإهلال يكفي دون الحاجة إلى إضافات الوثنيين، لكن التجزئة في الشرك تأتي على الوحدة المتمثلة بالتوحيد العقائدي، ومنها جاءت أن لفظة الحج تعني التوجه والقصد، وأن التلبية تعني الإجابة بعد الإجابة وكذا الإهلال، لكن التلبية لفظة مختصة، والإهلال لفظة عامة، فلا يقول للمصلي إذا أهل بأنه يلبي، وإنما تقتصر التلبية على الحاج فقط، ..)[14] وقد استفدت كثيرا من علم هذا الشيخ الذي لا يكاد ينفك درسه كل يوم عن الجديد الجيد الحسن ودون توقف، وقد حدثت به مشايخنا فأعجبوا لعلمه وقالوا بأنه من الأوائل من تحدث عن مثل هذه الأمور بما يفيد خبره التاريخي،

وذاك يخرج من دمشق في وحدة فاتحا على نفسه أبواب متاعب رحلة مجهولة العواقب، راميا نفسه في أطمارها، دون معرفة بمحط الرحل ووجه المضيف، مغير أنه محمل بأسباب أدوات القراءة والكتابة، في حسن علم ودين وسلوك، بعد أن كان يعيش جنته على أرضه من بلاد الشام، حضارة وازدهارا، ثقافة علما وآدابا، قاصدا بلاد المغرب العربي والأندلس مستعينا بالدهر على ما في فكره من تجاوز مسافات، لعله يصل إلى أمر ما، تطرب العين لقراءته وتلذ الأذن بسماعه، في فكر جديد، ورؤية علمية تعرفه بفضل

---

[14] المصدر السابق ، الورقة: 39 وما بعدها،

بركات أهلها، وتلقنه العلم والخبر والرواية في باقي أيامه وخواتمها، حتى قيل في هذا المجال الشعر الكثير بعد أن بات أهله يتحرقون شوقا إلى أوطانهم وتحنانا إلى أهلهم وذويهم كلما طال بهم الزمن بعدا وفراقا، فهذا أحدهم يصور لوعة حنينه، وأسى قلبه الملتاع لأهله ووطنه، قوله:

أيها الـــــراكب الميمـــم أرضي إقـــرأ بعضَ السلام عني لبعضِ
إن جسمي كما تـــــــراه بأرض وفـــؤادي ومـــــــالكيه بـأرض
قدـــــــــــَّر البين بيننا فافترقنا وطوى البينُ عن جفونيَ غمضي
قد قضى الله بالفـــــراق علينا فعسى باجتماعنا ســـوف يقضى

إلى غير ذلك من الأشعار والرسائل والكتابات التي قيلت في هذا المجال من أسباب الرحلة والوفادة وغيرهما، التي كانت تعد يومئذ عند أهل العلم ضربا من الثقافة العربية الإسلامية، لما يوجد فيها من التشابه والتقارب في كثير من آفاقها العلمية وثقافاتها الاجتماعية والإنسانية، وجوانب أخرى كثيرة من التي كان لها الأثر العميق في تغيير الكثير من معالم المجتمعات العربية الإسلامية من حيث التهذيب والابتكار والخلق والإبداع من التي طرأت على كثير من علوم الفقه، وفنون الآداب واللغة والشعر،

لقد كانت أرض القعدة من بادية امهاجة يوما قبلة لكثير من العلاقات الإنسانية الدينية والتعليمية، عبر العديد من بلاد العربية الإسلامية، والتي بها استمر صفاؤها وعمقت جذورها وتنوعت ثقافتها في ظل حياة اجتماعية مليئة بأسباب علوم المعرفة واللغة والدين، ولا زال الحديث عن هؤلاء العلماء الوافدين لأرض القعدة ينقل إلينا عن طريق مشايخ أهل العلم الأوائل، من الذين أصبحوا ذكرى باهتة في ذاكرة الأجيال،

وواصل السيد عبد الغني تعليمه الديني واللغوي، على يد والده الشيخ الفقيه عبد القادر[15] الذي تمكن من معين العربية وعلومها على يد صفوة خيرة من علماء عصره من بني عمومته، وبجامعة الزيتونة استكمل بها وافر علمه، حتى بات يشهد له بالمقدرة العلمية في كثير من العلوم العقلية والنقلية، ما أهله أن يفتح مسجدا في ملكية خاصة له إلى جانب سكناه، الذي كان فيه شيخا فاضلا، وأستاذا مربيا، وفقيها عالما، وهو على جانب كبير من الشدة في كثير من المسائل الفقهية واللغوية من التي تتطلب التأويل والاجتهاد، وهو واحد ممن صقلتهم المعرفة العربية الإسلامية والعلوم العربية، فأخذ منها وأعطى، وكان رحمه الله ممن عاصرتهم في وقت مبكر من حياتي،

ثم على يد ابن عمه الشيخ الحبيب الذي احتل بذكائه وشدة حفظه أسمى مقام وأعلى همة وأوفر شهرة، عند أهل العلم من بني عمومته، حتى أنه رحمه الله كان موصوفا على أنه من أهل الدراية والرواية والضبط والإتقان، عارفا بالتأويل والناسخ والمنسوخ وبالشروط والأحكام، بصيرا بالفتوى[16]،

وبهذه الأرضية التي جمع فيها السيد عبد الغني أشتات علومه الأولية، جاز له الرحيل إلى مراكز العلم، في أماكنه المتعددة من الوطن وخارجه، من التي كان معجبا بها في أولية شبابه كل الإعجاب، إيمانا منه بأنها ستكون له حقلا

---

[15] المصدر السابق ص: 153 وما بعدها،

[16] أنظر ص: 221 من كتاب الإعلام بمن حل بوهران من الأعلام ، ديوان المطبوعات الجامعية ، وهران 2009 للميلاد، وكتاب (الأثر الآفل والكفيل الغافل في حلى أرض القعدة من بادية امهاجة بعد ثقافي وتواصل إنساني) ص: 286 وما بعدها ، طبع دار الأديب وهران ، 2021 للميلاد،

خصيبا للدرس والعلم والثقافة، التي كان على كل من يريد استكمال وسائل ثقافته أن يزورها، فكانت هذه أول رحلة له خارج محيطه الجغرافي من أرض القعدة حفظه الله ورعاه إلى معهد ابن باديس، ثم جامعة الزيتونة بتونس الذي أتي فيه على نصيب غير قليل من أصول مواده العلمية وضبط قواعدها النقلية منها والعقلية،

الرحلة في طلب العلم

لم تكن الرحلة في طلب العلم يوما متاحة لكل من وهب الله له أسباب العلم والإقبال عليه، ما لم يكن متسلحا بجانب الإيمان بذكائه وقوة حفظه، وهي صفات كانت لها جذور عميقة في حياة السلف الصالح، ولكل من هذه الميزات أو الخصائص لها ما عليها من محامد وصفات إنسانية عميقة، منها ما يتصل بمحاسن الأخلاق وطيب السرائر، وعلم وأدب وفقه ودين وحفظ لكتاب الله وتعلم للغة العربية وآدابها، ومنها ما يتصل بالسبق الوراثة الأصيل منه والمكتسب، من التي تذهب بصاحبها مذهبا بعيدا يطول معه سراها إلى قرون خلت،

فهذا السيد عبد الغني (الطيب ابراهيم) المدعو (توفيق) الذي كان أحد هؤلاء الشباب الخيرين من الذين ملأ الإيمان بالعلم قلبه، فهو من بيت عرفت بسعة العلم وحفظة كتاب الله، متسمة بكثير من أدوات الكتابة والقراءة، في ثقافة عريضة، ومعرفة متشبعة، وفكر مرتب عالي السند، مكنته

من أن يخطو خطواها في كثير من مداركها الثقافية الفقهية واللغوية والأدبية حتى أخذ ذكره بين أقرانه يلتمع في سماء الكتابة والقراءة وحفظ القرآن الكريم وقليل من متون الفقه واللغة والآداب، ما جعل شيوخه يجيزونه بالخروج لطلب للعلم، فكانت هذه أول رحلة له خارج حاضرة القعدة، إلى معهد ابن باديس بمدينة قسنطينة مباشرة حيث كانت هذه المدينة محط أنظار طلبة العلم والعلماء، وبخاصة منهم أولئك الذين كانوا يتمتعون بفيض ملكات فكرية الناطقين باللغة العربية وعلومها،

لقد كان هذا المعهد عند أهل العلم وطلبته يمثل مركز إشعاع وطني ثقافي حضاري عربي إسلامي، نظرا لتوفره على نخبة عالية السند من أساتذة العلم وعلوم المعرفة، من الذين كانوا يمتعون العقل والفكر والخاطر بكثير من آدابهم ومعارفهم العلمية وثقافتهم العربية الإسلامية، قل أن يوجد لهم مثيل، لكنه لم يعمر فيه طويلا لسبب أو لآخر، ولعل حجته في ذلك ـ والله أعلم ـ أنه وجد مادته العلمية والتعليمية لا تبتعد كثيرا عما كان يتلقاه على يد مشايخه من أهله وبني عمومته بأرض القعدة من بادية امهاجة، ليشد الرحال ثانية، إلى جامعة الزيتونة بأرض تونس حيث وجد فيها من أدوات القراءة والكتابة، ما يمكنه من تصفح كتب المتقدمين ما يعتمد عليه، ومن العلماء المعاصرين ما يأخذ منهم تلقيح ذهنه، ومن العلوم ما يتسع بها منطقه ويعذب بها لسانه، إضافة إلى مكتبة وافرة المصادر والمراجع،

ولكنه ونظرا لتعلقه بأسباب الثورة التحريرية الكبرى التي لم يتخلف عنها أحد إلا من انتهت به أنانيته تفضيلا للعلم بغية الشهرة والسؤدد، قرر الالتحاق بنضالها السياسي ضمن تنظيماتها الطلابي ومؤسساتها الثقافية والاجتماعية التي

لم يقف أمرها على خدمة الثورة داخل محيطها السياسي والاجتماعي بأرض تونس فحسب، بل تعدتها نشاطا في ندوات فكرية وثقافية عبر الكثير من العواصم العربية والإسلامية، وبهذا الانخراط الثورى دخل السيد عبد الغني(الطيب ابراهيم) تاريخ الثورة الجزائرية من بابها الرحب الوسيع، الذي ظل يتشبع به إيمانا وفكرا وقلبا، وهو بعد لم يبلغ به النضج مداه، نتيجة حياة عاشها بين أسلاف من بني عمومته، من الذين كانوا يمثلون الصفوة الممتازة في العلم والجاه والتربية والتكوين، التي أثرت تراثنا الفكري والثقافي، وأغنت أدبنا العربي الإسلامي، وأمتعت عقولنا، نتيجة تمتعهم بأذهان ثرية، طابعها الجد والاجتهاد، ما جعلهم يتركون لنا هذا الموروث الثقافي الذي كان ولا يزال موئل علمهم وموطن سجل حياتهم، في مجد تليد، وقيم ومثل عربية إسلامية،

لقد كانوا رحمهم الله على درجة كبيرة من حبهم للوطن ووعيهم الثقافي ونشاطهم الذهني والإنساني في رسوخ علم، والسمو في درجة الحلم، وقد خاضوا في ذلك حروبا ظد كل أجنبي دخيل، وبقي الحال عندهم هكذا في سنين، محاربين مقاتلين، وقد أصابهم ما أصاب البلاد وشعبها من قتل وتعذيب ونفي وتشريد ومن خراب ودمار، وهم بذلك قد واكبوا كل الحركات الوطنية التحررية ، آخرها ثورة أول نوفمبر المجيدة من عام 1954 للميلاد، من التي انتهت والحمد لله بالنصر المبين، الذي لم يكن نصرا عاديا، ولا فوزا مألوفا، وإنما هي صفحة جديدة تسجل للثورة الجزائرية الكبرى، وللأمة الجزائرية ببعدها الثوري والجهادي، على هذا النصر الذي أحرزه بدحر الاستعمار، وطرده أشر طرده،

وقد واكب هذه الثورة صفحات كثيرة من المجد، منتظمة في مواقف تروى، وأخبار تحكى، وأحداث كبرى مؤيدة من واقع تاريخها الحافل بكثير من المعارك البطولية من التي دارت رحاها عبر الوطن، وقد اشتد آوارها والتهب لظاها، مسجلة بدلك أروع انتصار على أكبر وأقوى جيوش ذاك الزمان،

ونظرا لهذه الأحداث التي عاشتها الجزائر في سنين، ونظرا لما كانت تستفيض به قريته المعروفة (بقرية أولاد سيدي الفريح المهاجي) من أرض القعدة من بادية امهاجة، من خواطر مزدحمة وبكثير من العز والفخر والجلال، نشأ هذا الشاب كثير زاده، في عزيمة وإرادة، ملتمسا الجهاد أو الاستشهاد، وقد كان له ذلك والحمد لله عام 1956 ـــ 57 للميلاد،

وظل السيد عبد الغني على هذا الحال ينشط داخل الاتحاد الطلابي للثورة الجزائرية بأرض تونس، طيلة فترة أيام الدراسة التي دامت عنده قرابة سنة كاملة لا غير، حتى انقطع عنها بسبب الإضراب العام الذي قادته الحركة الطلابية الجزائرية في الخارج والداخل، ونظرا لتوليه مهام كثيرة داخل النظام الثوري لجبهة التحرير الوطني أثناء تواجده بأرض تونس، التي مكنته أيامها من أن يتبوأ مكانة عند القيادة الثورية يومئذ رغم صغر سنه، فاختير ما بين النضال السياسي إلى جانبها، أو الالتحاق بصفوف جبهة التحرير الوطني داخل الوطن، فاختار الأمر الثاني ودون تردد، وقد انتهى به هذا القرار ساعتها في النضج عنده منتهاه،

عودته لأرض الوطن

ويعود للوطن من عام 1955 للميلاد والثورة في عامها الثاني سائرا على أرض بياضها مظلم، وسوادها مضيء، وهو بعد في مستهل شبابه ولم تمنحه الحياة ما يستحقه من أمن وآمان بعد، وهو في عجلة من أمره، بالالتحاق بالثورة، خشية أن ينكشف أمره للاستعمار، ولم يعد له نصيب في الجهاد،

وقد شابه عودته حينها إلى أرض الوطن الكثير من الغموض والالتباس عند الكثير ممن كانوا على صلة به، أو من الأقربين المقربين منه، غير مدركين لسر هذه العودة المفاجئة، وظل الحال معه هكذا والناس من حوله يخطون ويمحون عبر تكهنات كثيرة وتأويلات ما أنزل الله بها من سلطان دونما سند يذكر أو جواب شاف منه، وأخيرا استقر الحال عند الجميع من أن رحلته كانت أساسا لطلب العلم، وأن هذه العودة السريعة التي باتت توجب الشبهة فينا وتشير إلى ما هو أبعد منها بكثير، ما هي إلا سحابة صيف لا تلبث أن تزول، هكذا عبر عنها من كان يمتعنا بكثير من الصناعة في عبر ولا نفير،

وبقي السيد عبد الغني يقف من الكل موقف التستر والكتمان، يجيبك في ثوب من الكلام القائم على الحكمة البليغة، والقول النفيس من غير صنعة كلامية العفوية منها أو المستترة حينا، وهو على حاله يسير مطمئنا سليم الخطى، لم تلمس فيه أبدا لا تغيير الثوب الذي خرج به مؤتزرا من قريته الصغيرة، ولا حديثا فيه من زخرف القول ما تطرب لسماعه الآذان، بل تراه يحدثك بكثير من الجرأة والصراحة ليقربك على مواجهة الأحداث الغالبة على حياة البشر كيفما كانت، وهو في أعلى ثقة في نفسه أمامها، ما يجعلك تسير في ركاب الحياة إما مدافعا عن رأيك وقدرتك اتجاه ما تعمل، أو مهاجما مصطدما مع من يخالف التفكير والتدبير،

وعاد إلى القرية وكأنه لم يغب عنا كل هذه الأيام لا لشيء وإنما كانت عودته غير مشابهة لمن تغرب عنا من بني العمومة طلبا للعلم وعاد ومعه كِبَرٌ وترفُّعٌ، لكنه عاد إلينا وهو في القراءة والكتابة على جانب كبير من الثقافة الأدبية والفكرية والدينية، ومن آثار مسموعة عن أخبار الثورية ورجالاتها، من التي كان لا يكاد ينفك الحديث عنها في شجاعة نادرة، وحماس منقطع النظير، يتحدث عنها بعقيدة إيمانية دينية، وشجاعة قوية ثابتة، مادحا القادمين على أمرها، حتى باتت عندنا ثقافة غير بعيدة عن تلك التي ورثناها درسا وتحصيلا عن مشايخنا من أهل العلم من بني عمومتنا،

التحاقه بالعمل الثوري

لم تكن الأمة الجزائرية ليهدأ لها بال يوما عبر تاريخها المديد عن نضالها الثقافي السياسي والاجتماعي، وكفاحها الطويل الشاق، سعيا منها ترتيب وحدة أمتها وتحرير وطنها من الاحتلال الفرنسي الغاصب، بغية التخلص من تبعيته الاستعمارية، من التي لا زالت توطد بها أركانها، وتوسع نشاطها الثقافي الفكري والاجتماعي، الذي لا زالت تتوسع وتمتد ضمن حدود الوطن المتعارف عليه جغرافيا وسياسيا،

والكل من أبناء هذه الأمة يعيش قناعته من أن هذه الأرض الطيبة التي فتحها الإسلام بطيب خاطر وحب عقيدة، باتت وبطول زمن أرضا تمثل امتدادا لوحدة الفكر العربي الإسلامي المتجسد في أصالته المتمثلة في قيمه العربية الإسلامية، وتقاليد وأعراف خالية من كل سلوك اجتماعي مشين، في شعائر رمزية أو طقوس احتفالية، في شعوذة وطقوس تمارس فيها الكثير من الضلالات والشعائر الجاهلية المهجورة،

وباعتبار أن الدين الإسلامي دين يحمل مبادئ وقيم وأخلاق، والتي منها جاء للإنسان المسلم كرهه للتسلط والأذى ونبذه للعبودية والاستبداد،

وفضائل أخرى كريمة، وقيم وأخلاق حميدة، من التي غرسها الإسلام في كثير من الأمم والشعوب غداة فتوحاته المباركة البعيدة، والتي استقر تاريخها وبطول زمن في أعماق الذاكرة،

وبهذه المبادئ والقيم العربية الإسلامية من التي تشبعت بها الأمة الجزائري يومئذ، فتح الله عليها بجمع رأيها وتوحيد كلمتها معبرة رافضة عن كل ما من شأنه أن يخنق أنفاسها، ويحد من حريتها وكرامتها وإنسانيتها، معلنة الثورة على ظلم الاستعمار وطغيانه الذي أذاقها الخراب والويل والعذاب والجهل والتأخر والنسيان، وحالات من التمزق الاجتماعي والضياع من التي ظلت تعيشها هذه الأمة، طيلة عهود من الزمن، في ثورة شعبية عارمة، أعطت للاستعمار يومها المدلول الحقيقي الواضح لما كان يحتله هذا الشعب من تحرر فكري وثقافي، الذي ظل يبرهن به على مدى نضجه العقلي الفكري والثقافي، نحو وحدة أمته، والسعي بها نحو التحرر من سياسته الاقتصادية والاجتماعية، وثقافاته التي كادت أن تقضي على كل معلوم من تاريخنا المجيد الحافل بكثير من الانتفاضات الشعبية، والتظاهرات الثقافية، من التي تدعوه إلى الارتباط بأرضه ووطنه،

ومن يومه باتت ظاهرة الثورة تزداد حركة وتطورا فكرا وثقافة، روحا ودينا ، جهادا ونضالا، يتوسطها الشعب توسعا ونشاطا وفي العمل على يقظة شعور الوحدة الوطنية لدى كل مواطن جزائري حر أصيل غيور على أرضه ووطنه وأمته، بعد أن استكمل الاستعمار غرس ما عنده من بذور الشر والعداء أو كاد، في كثير من القرى والمدن والأرياف، الكراهية والتفرقة، حتى لا يكون هناك أي تفاهم أو تقارب يوحد كلمتهم ويجمع صفوفهم،

ولكنه وبفضل من الله سبحانه وتعالى توحد هذا الشعب من أقصاه إلى أقصاه، متمسكا بوطنيته، متشبثا بمكوناته الثقافية وبعاداته وتقاليده وبقيمه العربية الإسلامية، مدافعا عنها بكامل قواه، مستمدا سلطته مما أعطاه الله من شرعية على هذا الوطن ومن ارتباط بأرضه ووحدة أمته، الذي لا زال يمد الشهيد تلو الشهيد عبر فعود من الزمن، حتى حرر وطنه من دنسه الشائن اللعين،

وفي ظل إيماننا بعواقب هذه القيم الدينية الخالدة وعطاءها المتجدد من التي باتت جذورها راسخة بين أفراد هذه الأمة، والتي بها توحد في أكثر من وراء ذلك، حتى بات ما ينزل أحد بأحد إلا كأنه دخل دار نفسه، وباتت الثورة هي وحدها كفيلة بتوحيد هذه الأمة حول هدفها المنشود الاستقلال أو الموت دونه،

ولعلنا لا نعدو الحقيقة إذا ما قلنا في غير مبالغة، إن الشعب الجزائري وهو يوحد اليوم كلمته حول قيادته الرشيدة الحكيمة، وهدفها المنشود، أن الله جمعه على كلمة الحق وهيأ لهم سبل المقاومة والجهاد في سبيل الله والوطن، لتكون عنده كلمة الله هي العليا، وكلمة الكفر هي السفلى، ماضيا في محاربة عدو غاصب احتل بلاده واستغل ثرواته ونهب خيراته، وهو لا يزال وإلى اليوم يبحث عن الذرائع لإبقائه وصيا على هذه الأمة دون إحساس بعقيدة الذنب نحو هذا الشعب وبما فعله بهم من احتلال بلاده واستغلال ثرواته، ومن خراب ودمار وقتل ونفي وتعذيب، وبات الكل يعيش الأمل من أن الله سينصره على عدوه آجلا أم عاجلا، ما داموا يطالبون بحق مشروع، غير ظالمين ولا معتدين، وقد بات الأمل معقودا على خروج الناس في ثورة

شعبية موحدة تكون من أقصى الوطن إلى أقصاه، في وحدة كلمة، وصدق قول وثبات عزيمة، يقدمهم في ذلك كل مواطن له أهلية الدفاع عن الوطن مضحيا بكل ما لديه من غال ونفيس، وخاصة منهم أهل القرآن الكريم من الذين على درجة كبيرة من الحس الوطني، انطلاقا من مفهوم ترسيخ الجهاد في نفسية الشعب وفي تبصره بمبادئه وأهدافه، مستدلين على شرعية الجهاد بكثير من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة، مندفعين في حياة الناس يهدونهم بنوره، ويأخذونهم به من مهاوي الخداع والنفاق والضلالة التي كان عليها الاستعمار، مذكرين الناس بقوله تعالى (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله)[17]

فما كان من السيد (عبد الغني) المدعو (سي توفيق) إلى الالتحاق بحملة كتاب الله المؤمنين بأن الحياة الكريمة لا تتحقق إلا مع كرامة الإنسان إما أن يعيش حرا أبيا في ظل وطن حر، أو لا يعيش، وأن واقع أمتنا وهي نعيش تحت ذل الاستعمار الفرنسي الحاكم الضال المضل الذي أدى بنا إلى نتيجة أمعن في الضلال والتضليل، وواقع مرير فيه الكثير من مظاهر التخلف والاستبداد والظلم والطغيان،

ونظرا لما كان يتمتع به السيد عبد الغني من فكر ثاقب وبعد نظر في معالجة الأمور وتحليلها، بالإضافة إلى ما يحمله من ثقافة مزدوجة كاللغة العربية والفرنسية الشيء الذي مكنه من تولي مناصب عليا في النظام الثوري لجيش التحريري يومئذ بالمنطقة الخامسة الولاية الخامسة التي التحق بها في أول أمره،

---

[17] الآية: 110 من سورة آل عمران،

وإثر التحاقه تم تعينه مباشرة كاتبا لقيادة القسم الثالث من الناحية الثانية، ثم مراقبا سياسيا عسكريا في نفس الناحية، وقائدا للقسم الثالث، ثم عضوا بقيادة الناحية الثانية، ثم قائدا للناحية الخامسة، ثم قائدا عاما للمنطقة كلها، وقد ثبت أحقيته وجدارته بهذه المهام كلها، كونه كان يتمتع بكامل صفات المجاهد المقاتل في سبيل الله في صدق وإيمان، ورجل حكم وسياسة، وقد وصفه لي يوما أحد رفاقه في جيش التحرير الوطني بأنه وهو على رأس قيادة المنطقة الخامسة بجيش التحرير الوطني، من أولئك الذين يلبسون اللفظ معناها من حيث القرار، فهو ممن تُؤْمنُ عليه قريحته، وتدره إلى الاستقامة والعدل تجربته،

لقد تولى قيادتها والثورة تعيش أوجها ميدانا لمعارك حربية شملت أرض الوطن كله، حتى بات الاستعمار فيها غير آمن على سلطته، وخاصة بعد أن رأى بغض الشعب له والنفرة من التعاون معه، فغير سياسته رأسا على عقب، ومن طبيعة المعارك الحربية للاستعمار أنها تحرق وتدمر، فما كان منه إلى أن الأخضر واليابس ودمر وخرب وقتل وعذب حتى أنه لم يترك طريقة لقهر هذه الأمة وإخضاعها لسلطانه إلا وقد أتى عليه،

ولم يسلم من سخطه وغضبه وانتقامه أحد، وقد بات الشعب الجزائر يومها يعيش شدة غبن وتشريد واضطهاد، أدت به طيلة سنوات الثورة إلى كثير من المآسي والأزمات، تاركة وراءها ما يذكرها به التاريخ من مناظر بشعة، من حيث التدمير والتقتيل وتهجير، حتى كان ذلك التصرف وتلك الأعمال في نظر الكثير ما هي إلا بداية لصفحة جديدة من بداية الثورة الجزائرية نحو الحرية والاستقلال، وأن مثل هذه الأعمال لا تزيد الشعب إلا انجذابا للثورة والتفافا

حول قيادتها ورجالاتها المخلصين الأوفياء، من الذين قال فيهم الله سبحانه وتعالى: (من المومنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا)[18]

وما لكان لهذا المجاهد السيد عبد الغني الطيب ابراهيم (توفيق) من مواقف وطنية وساحات جهادية من التي بات بها نموذجا للشخصية الوطنية الجزائرية، من حيث انضمامه للثورة وإدراكه لمعاركها من التي خاضتها الثورة في كثير من الجبال والسهول والوديان، والتي بات بها محورا من محاورها التاريخية الثقافية والفكرية،

ولكنه وفي عام 1959 للميلاد ألقي عليه القبض وبالذات بمكان يسمى بـ: (عوينية بوداود شرق مشرية)، وهو يعاني من جراح خطيرة في معركة لا زالت عالقة في أذهان العديد من رفقائه من المجاهدين والمناضلين الذين شهدوا هذا اليوم وما تكبد فيه العدو من خسائر في أفراد قوته المدججة بالأسلحة الفتاكة المتطورة الصنع، وفي عدد من الجند من الذين جيء بهم من مختلف المناطق القتالية من أرض الوطن، وتحت قيادة أكبر ضابط لها، معتبرا أن هذه المعركة مصيرية لأنها تظم قائدا من قاداتها الثوريين، ولا بد من المعركة معه تكون أشد ضراوة، ونسي أن هؤلاء المجاهدين يعيشون حياتهم في الخنادق يأكلون ويشربون وينامون وينتقلون دون أن يعرف لهم العدو مكانا، ناسيا أن اعتدادنا بالنفس والإيمان الثابت بأن النصر من عند الله، وهو الأمر الذي كان مسيطرا على أذهاننا والذي كان بمثابة جيش كامل يضاف إلى تعدادنا وقوتنا،

---

[18] الآية رقم 23 من سورة الأحزاب،

وهو يقول لا زال الاستعمار مستمرا في تحشيد جنوده استعدادا لملاقاتنا حتى وصلت بهم مداها، وفتحت الحرب أبوابها ليستمر القتال بيننا على أشده، وإلى ساعات متأخرة من الليل حيث انتهت المعركة، لتفقد بعدها بساعات صفوفنا لنجد أنفسنا أننا فقدنا كما فقدت لكننا غنمنا من الأسلحة ما لم يكن في الحسبان، ورغم قلة عددنا وعدتنا إلا أننا استطعنا أن نشلوا تقدمه في كثير من الهجمات الخداعية من التي كان مسلحا بها ومعد العدة لها، إلى أن يقول: لقد كنا بإرادتنا وإيماننا أشد وقعا في صفوفه، من حيث ما كنا عليه من تنظيم محكم، وتدريب دائم استعدادا لمثل هذه المعارك،

ولكننا والحمد لله وبفضل إيمان من تبقي منا على قيد الحياة، استمرت الثورة وباءت هي وأعوانها بخيبة أمل مريرة، بعد أن كابدت في سبيل انتصارها على الثورة كل المكابدة، وقد كان لفشلها على أرض المعركة وقع أليم في قلوب رجالاتها الكبار، وساستها العظام من الذين لبسهم الغرور ، منخدعين له وبكثير من التباهي والتفاخر بأنهم قوة كبرى لا تقهر، وبخاصة ما كان من هذه الثورة التي لا زالت ترى فيها على أنها نوع من التمرد والعصيان، والذي لا يتجاوز صلاحها أكثر من بندقية صيد أو رشاش لا يتجاوز مداه خيال صاحبه،

ويضيف قائلا: على الرغم ما أصابنا حينها من أسر وفقدان رجال عظماء أجلاء رحمهم الله، إلى أننا كنا على يقين بأن النصر آت آجلا أم عاجلا بإذنه تعالى وحسن عونه،

ووقع السيد (توفيق) يومها أسير حرب وظل معتقلا تحت قوة النطق والتعذيب من جهة والترغيب والترهيب من جهة ثانية ، متنقلا من سجن لآخر، حتى أنه وفي داخل السجن لم ينج من الغدر والخيانة إذ وقع عليه

اعتداء بالرصاص رفقة زملاء له ، لولا فسحة الأجل لكان في عداد الموتى، إلى أن استقر به الحكم النهائي في سجن المجموعة السياسية بـ : (حمام بوججر) بإحدى ضواحي وهران الكبرى حتى عام 1962 من شهر جوان حيث أطلق سراحه كغيره ممن شملهم عفو الاستقلال ،

وقد حدثني السيد (توفيق) عن هذه السجون، بقوله إننا نروي ذلك ليكون دليلا للأجيال عند مراجعتها لتاريخ العلاقات الإنسانية بين الشعوب والثورات بصفة خاصة،

وتكفي إشارة إلى ما كان في تلك السجون الرهيبة والزنزانات المظلمة التي ادخلوا فيها أبناء شعبنا وأذاقوه صنوف التعذيب حتى لقي الموت بعضهم، لكن من نجا منهم نجا بأعجوبة ومع ذلك فقد ألحقت البعض منهم إصابات أدت بهم إلى العوق والعاهة لم يزل بعضهم حيا يقول للمحتل هذا صنع أيديكم ويبقى يطالبهم بساق مفقودة أو يد مبتورة أو عين ذاهبة،

وقد استعملت معه فرنسا أنواعا من التعذيب حتى تتمكن من أخذ معلومات عن الثورة الجزائرية باعتباره كان أحد أعضائها البارزين في القيادة السياسية الحربية لجيش التحرير الوطني، لكنها لم تتمكن منه، واعتبرته أسير حرب سياسي حتى يكون مستقبلا محل مساومة مع القيادة الثورية السياسية يومئذ، كغيره من الزعماء الثوريين والقادة السياسيين من الذين وقعوا رهن الاعتقال[19]،

وهذه إحدى أهم صوره الثورية التي لا زال يعتز بها ضمن ذكريات الثورة، كونها تذكره بأول يوم التحق فيه

[19] أنظر كتاب الأثر الزاهر في ذكر النسب الطاهر ص :265 وما بعدها، ديوان المطبوعات الجامعية وهران 1998 للميلاد

بصفوف جيش التحرير الوطني، وبالذات بـــــ: (جبل تاقورايت) واستقباله من طرف قيادتها الثورية، ويأتي في مقدمتهم سي عبد الهادي قائد المنطقة الخامسة يومئذ، وسي الأزهري قائد الناحية الثانية، وسي حمزة قائد القسم الرابع،

وهذا تذكار آخر تجمعه بأعضاء القيادة الرابعة والخامسة أثناء توليه قيادتها من عام 1958 للميلاد، خلفا للمجاهد سي العربي الطبيبي بعد انتقاله للقاعدة الخلفية للثورة بمدينة وجدة المغربية بأمر من القيادة العليا للثورة يومئذ،

عودته إلى الساحة السياسية في ظل الاستقلال --------

عاد السيد الطيب ابراهيم عبد الغني المهاجي المعروف ب (توفيق) بعد

الاستقلال مباشرة للعمل ضمن القيادة الثورية بنفس السلطة السياسية والرتبة العسكرية التي اعتقل على إثرها من عام 1959، كقائد للمنطقة الخامسة، وهو برتبة نقيب، وقد تولى مهام كثيرة منها:

(1) أنه عين ضمن عناصر قيادة جيش التحرير الوطني لناحية الحدود المغربية لاستقبال القيادة السياسية الثورية يومئذ التي كان مقرها مدينة وجدة المغربية، برئاسة السيد الرئيس أحمد بن بله، الذي كان أول رئيس للجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية،

(2) عين على رأس الاتحادية الجزائرية لحزب جبهة التحرير الوطن لناحية وهران التي كانت تضم جميع ولايات الغرب الجزائري، لكنه اختلف مع السيد الرئيس أحمد بن بله في المنهج السياسي الذي يحكم السير العام للبلاد، نظرا للمرجعية الثقافية والدينية والاجتماعية التي تميز بها السيد توفيق مما جعله يرفض التوجهات السياسية التي كان يراها تختلف تماما، مع المبادئ والقيم الروحية والإسلامية التي كان يتحلى بها شعبنا العربي المسلم، فكان هذا جوهر الخلاف بينه وبين السيد الرئيس أحمد بن بله فوضع السيد توفيق تحت الرقابة الأمنية بعد أن عزل من منصبه كعضو بالاتحادية الجهوية لوهران لحزب جبهة التحرير الوطني الذي كان يومها رمزا للدولة في الحكم والتنفيذ واتخاذ القرار، وظل على هذا الحال مختفيا هنا وهناك بعيدا عن أنظار الأمن وعيون الدولة، حتى عشية الانقلاب من عام 1965 الذي أطاح بحكم الرئيس أحمد بن بله ليعود إلى منصبه كمحافظ وطني على رأس ولاية وهران،

لكنه لم يعمر طويلا بحكم الخلاف الذي نشب بينه وبين القيادة السياسية العليا للحزب يومها في الرؤية المستقبلية لأيديولوجية الحزب الذي كان يعتبر

القيادة الحاكمة للبلاد، فكان يرى أن مبادئه تبقى ثابتة في النهج والتسيير وفاء لمبادئ أول نوفمبر من عام 1954 م، لكن القيادة الثورية التي حكمت السلطة بعد حكم الرئيس بن بله، رأت غير ذلك بحكم التوجه العام للسياسة الخارجية للبلاد، فقدم استقالته من منصبه، ولم تقبل منه هذه الاستقالة إلا بعد فترة زمنية طويلة وهم في الأخذ والرد معه فكان له ذلك عام 1967، بحكم إسراره على مواقفه الثابتة، التي كان يعبر عنها بكل ثقة وإسرار،

وقد عرضت عليه مهام أخري كثيرة، فامتنع عن ذلك، واعتزل الحكم والسياسة وأهلها نهائيا، لكنه بقي يناضل في إطار منظمة جبهة التحرير الوطني للمجاهدين التي لعبت دورا كبيرا في الحفاظ على مبادئ وقيم أول نوفمبر، فكلف بمهام كثيرة منها:

ـ ترأسه لعدة لقاءات وطنية وتجمعات شعبية في إطار النشاط الثقافي كعضو مؤسس لمنظمة جبهة التحرير الوطني في تحسيس المواطنين بحقوقهم وواجباتهم اتجاه الدولة والشعب، بعيدا عن الخطاب السياسي والإيديولوجي للدولة والحزب، وله نشاطات أخرى كثيرة ومتعددة في ميادين مختلفة في المنظمة الوطنية للمجاهدين بفرعيها الجهوي والوطني،

كما أنه يهتم اهتماما كبيرا بتدوين تاريخ الثورة الجزائرية، لأنه ملم بخباياها، ويعرف الكثير عن الجهاد والمجاهدين، وعن السياسة والسياسيين، ومن تسلق إلى السلطة تزويرا باسم الثورة، أو كمجاهد متسترا وراء من باعوا ضمائرهم من أجل السلطة والمال، وله في ذلك عدة آراء وأفكار وبعد نظر في معالجة هذه

الأمور، بعيدا عن المحسوبية أو المحاباة، فهو صاحب حق يتمتع برأي نافذ، وحكم صائب في التحليل والتوجيه، وهو يقوم الآن بمحاولات لا بأس بها في جمع هذا التراث وتدوينه تدوينا تاريخيا لا لبس فيه ولا إبهام،

وقد كرمته المنطقة الخامسة لجيش التحرير الوطني نتيجة جهوده وأعماله الخيرة، في ثورة التحرير الوطنية المسلحة، وكإطار سامي في السلطة السياسية، ومناضل في جبهة التحرير الوطني والمنضمة الوطنية للمجاهدين في يوم الاحتفال بالذكرى الأربعين لقيام الثورة التحريرية وذلك في الكراس الذي أصدرته الولاية الخامسة تحت إشراف اللجنة الولائية لتنظيم احتفالات أحياء الأعياد والأيام الوطنية في المناسبة المذكورة لاندلاع الثورة التحريرية عام 1954 م، فجاء الحديث من قبل اللجنة الفرعية للتاريخ على لسانه كقائد للمنطقة الخامسة سابقا، وبذلك يعد السيد (توفيق) وهو الاسم الحربي الذي كان يعرف به، أيام حرب التحرير الوطنية،

كيانا تاريخيا للثورة التحريرية ضمن إطاريها الحربي والسياسي، لا سيما أنه حتى الآن يتحدث عن تلك الثورة وأيامها وبطولاتها ورجالاتها من المجاهدين والمناضلين والقادة السياسيين بكل وضوح واتزان مما يشيع في النفس شعورا بأن أولئك الرواد لم يزالوا على قوتهم واتقاد ذهنهم وأن الثورة تستمد منهم ذلك المضاء والعزيمة، وأن الجالس إلى المجاهد – توفيق - ليشعر أنه لم يزل لديه الكثير لم يقله،

فله في كل جلسة قصة أو حكاية تاريخية يحسن تحليلها وتأويلها بحكم أفقه العلمي الواسع وتوجيهه للأفكار بما يناسب وقائعها، فتشعر عند اجتماعك إليه

وجلوسك معه انك إزاء رجل محنك يحسن إدارة دفة الحديث في الأمور التي تطرحها الجلسة ، فالحديث معه والجلوس إليه ، أمر شائق ممتع يستهويك تحليله وتعليله للأشياء ، فهو رجل مرتب في هيئته منظم في أفكاره ، بسيط في حياته ، لهذا أطمئن إليه وأرى في لقائه خير أنيس، وأن ما ورد في هذا الكراس التذكاري ما هو إلا جزء من يسير مما يحمله السيد - توفيق – من تجارب وذكريات ، حول حرب التحرير الوطنية عبر مراحلها المختلفة،

ولهذا نحن نتقدم بكل أمانة وإخلاص إلى المعنيين بالثورة الجزائرية وتاريخها أن يبادروا لتسجيل ما في ذهن هذا المجاهد من أخبار وتجارب لتنتفع منها أجيالنا الحالية والقادمة، وما رافقها من تنظيم وعمل وإدارة وأعلام وأجهزة لمصالح الثورة التحريرية يومئذ في مجال الصحة والقضاء والجمارك والمصالح الأخرى التي تدخل في أعماق مصلحة الثورة الجزائرية ، كما حاول المجاهد " توفيق " أن يوضح كل ما يتعلق بقيادة منطقته (المنطقة الخامسة الذي كان أحد قياديها) وما يتطلب من قائد المنطقة ومسئوليها السياسي والعسكري إلى جانب المسؤولين عن المواصلات والأخبار السياسية والأمنية ، وقد حاول المجاهد، أن يقدم تعريفات واضحة وقيمة عن هذه المستلزمات التي قامت عليها الثورة الجزائرية إبان التحرير منذ نوفمبر عام 1954 م

وقد تنبه السيد (توفيق) عندما نظر في تاريخ الثورة الجزائرية عبر مراحلها المختلفة، والتفت إلى مزايا فريدة تتمتع بها هذه الثورة عن سبيقاتها من الثورات التحريرية التي شهدتها الساحة السياسية الجزائرية يومئذ فمنذ دخول الاستعمار أرض الجزائر وهي تعيش حركات ثورية، لا تكاد تخمد نار إحداها، حتى تقوم أخرى مستمدة من سبيقاتها القوة والعزم على مواصلة مسيرة الثورة

في وجه الاستعمار الغاصب المحتل،

ثم أخذ المجاهد يتصدى لمصطلحات عديدة المستحدثة منها والقديمة فيتحدث عنها ويشرحها فكان في هذا يقف موقف المؤرخ والموثق لقضايا ربما عفى عليها الزمن ولم تعد تعرفها الأجيال، فأصبح توثيقها وشرحها أمرا ضروريا فليس من السهل أن يعرف الجيل الحاضر ما ذا تعنى لفظة قائد(المنطقة)، أو المسئول بجميع أشكاله داخل نظام الثورة التحريرية بصفة عامة، كمسئول التموين أو مسئول الصحة أو مسئول مصلحة القضاء،

أضف إلى ذلك أنه عرفنا ما ذا يعني المجاهد وما ذا يعني المسبل أو المتصل أو المراقب أو مصطلح الخيط بالإضافة إلى تعريفات أخرى تتصل بأنواع السجون وألوان التعذيب وكيف كان المستعمر الغاشم يتفنن في تشييد هذه السجون بما يناسب كل منطقة من الجزائر وما يناسب ألوان التعذيب الذي يمكن أن تروى القصص حوله لا تحويها كتب أو مجلدات، فكل قصة أو حكاية لها مثيلاتها في التعذيب والتنكيل، فالاستعمار كان له في كل يوم استحداث لون جديد من ألوان التعذيب، إيمانا منه بأنه سيفلح يوما بتجربة تؤديه إلى استنطاق صاحبها في الحصول على ما يريد، وذاك أمر بعيد، فالمجاهد مجاهد بقوة إيمانه بالله، وإرادته القوية في استرجاع حريته واستقلاله اللتين سلبتا منه على يد عدو لا يرحم، فلن ينال هذا الأسلوب أو ذاك المخلين بحقوق الإنسانية ومبادئها في مختلف أزمنتها وأمكنتها المادية منها والتاريخية، من عزمه وصلابته،

لهذا ينبغي أن توثق جميع هذه الأفعال والأعمال لكي لا تمحي من ذاكرة الزمن، وهذا ما جند المجاهد - توفيق - نفسه له فجاء سرده للأحداث موافقا لما تتطلبه الحقائق العلمية والثورية والسياسية على مدى الزمن منذ

انتصار الثورة الجزائرية حتى اليوم، من عام 2000 م،

ومما يثير الانتباه أن هذه الموضوعات الثورية في مختلف أنواعها لم تثر انتباه الدارس والمؤرخ والسياسي والباحث الحديث والمعاصر في الشؤون الثورية والتاريخية، بينما التفت إليها المجاهد، الطيب ابراهيم عبد الغني المهاجي المدعو -توفيق - لأول مرة فوضعها أمام أنظار الباحثين وأوصلها إلى مسامعهم بحيث عرفوا عظمة هذه الثورة وشجاعة هذا الشعب ومقدار هذا النصر- الذي تحدث به العالم يومئذ،

إن هذه الدراسة حفزت الأذهان إلى كثير من الوقائع ولولا أن ثبتها هذا المجاهد لخرجت من حافظة الناس ومن ذاكرة الجزائريين أنفسهم،

إن الكتابة في مثل هذه الحقائق تجعلها قريبة من أذهان الناس فلا تنسى- أبدا بحيث يخلد الحديث في جميع ما ألم بالثورة وأهلها من سجون ومعتقلات وتعذيب وتشويه وإبعاد،

إن مثل هذه الظاهرة التي كانت تتغلغل بين الجماهير الجزائرية وتحس بضروراتها لم تجد الدارس الذي يكشف على الرغم مما ظهرت من دراسات حول الثورة الجزائرية وما أقيمت من ندوات وما شكلت من مؤتمرات إلا أنها لم تلتفت إلى هذه الظاهرة التي لم تعد خفية ولا غائبة عن أعين الناس، لكن أقلام الكتاب أعرضت عنها لسبب أو لآخر،

ولعل أبرز هذه الأسباب أن أولئك الكتاب لم يكونوا قد عرفوا الكفاح الفعلي للثورة، وإنما كتبوها عن سماع وما تقدمه لهم الصحف المحلية عند إحياء ذكرى مناسبة من المناسبات التي يحاول المحاضرون فيها أن يظهروا في صورة الأبطال بينما المعاناة التي لقيها أبناء الشعب الجزائري أيام الكفاح المسلح من

سجون وتعذيب قد توارت عن الأنظار في مثل هذه المناسبات التي تحييها الدولة من حين لآخر إيمانا منها بأن لا تبتعد هذه الأحداث عن ذاكرة جيل الاستقلال الذي هو في أمس الحاجة إلى المزيد من الشرح والتذكير،

ولهذا عمد هذا المجاهد إلى إثارة هذا الموضوعات الثورية التي لعبت يومها دورا كبيرا في التنظيمات المختلفة للثورة المسلحة والمناضلين على مستوى القاعدة في المدن والقرى والمداشر، بحيث أصبحت هذه الموضوعات رموزا للوظائف الجهادية والسياسية التي لم تعد تعرف في الوقت الحاضر وأخذت تبتعد عن الأذهان يوما بعد يوم، بينما تقتضي الضرورة أن يكون لها امتداد وخلود في أذهان الشعب الجزائري،

وأن المجاهد سي توفيق قد مر بكثير من الأحداث التاريخية والأيام الوطنية، فسجلها لنا بشيء من التوثيق التاريخي مستنبطا ذلك من الواقع الذي عاشه في أثناء فترة نضاله المديد مجاهدا ومسؤولا حربيا، وقائدا عسكريا، وسجينا سياسيا، وهذا سر الأصالة التي يحملها المجاهد، الطيب ابراهيم عبد الغني المهاجي في ذاكرته، وما أورد من تعريف وتأصيل لكثير من مصطلحات الثورة الجزائرية في أثناء الجهاد المسلح، وقد حملت هذه المصطلحات بساطة في اللفظ وعمقا في التنظيم والتوج،

وهذه صورة تجمعه بأعضاء من قيادة اللجنة المركزية أثناء تنصيبه على رأس الاتحادية الوطنية لحزب جبهة التحرير الوطني من عام 1963 للميلاد،

وهذه صورة له تجمعه مع السيد والي ولاية مستغانم والسلطات الوطنية والمحلية، في زيارة عمل للولاية نفسها، قصد تدشين مصنع للورق يومئذ، والذي كان هدية من دولة يوغسلافيا الاشتراكية ،

وهذه صورة تظهره إلى جانب والي ولاية وهران السيد عقبي عبد الغني، وآخرون من أعضاء المكتب السياسي الوطني لقيادة جبهة التحرير الوطني بالجزائر العاصمة الذي كان أحد مؤسسه الأوائل من عام 1963 للميلاد،

في جمع مع المنظمات الوطنية والمحلية يشرف السيد (سي توفيق) على إحياء ذكرى أول نوفمبر من عام 1965 بولاية وهران وبحضور من الشخصيات الوطنية للدولة يقدمهم في ذلك السيد بوعلام بن حمودة الأمين العام لجبهة التحرير الوطني يؤمئذ،

وهذه صورة تظهره محاطا بالسيدين آسريف بالقاسم مستشار السيد الرئيس هواري بومدين رحمه الله، والسيد احمد مدغري وزير الداخلية يومئذ، في لقاء تشاوري بنادي الصنوبر بالجزائر العاصمة قبيل انعقاد المؤتمر السنوي للجنة المركزية لحزب جبهة التحرير الوطني من عام 1966 للميلاد،

هذه الصورة تمثل أول ظهور له بمدينة مغنية من ولاية تلمسان، بعد الاستقلال مباشرة من عام 1963 للميلاد، وهو إلى جانب قادة عسكريين وسياسيين محليين ووطنية، بعد توليه قيادة الحدود الجزائرية المغربية يومئذ كقائد للناحية العسكرية، وحاكم عام لتنظيماتها الإدارية والسياسية،

المصطلح الثوري والجهادي للثورة الجزائرية --------

عمد المجاهد سي (توفيق) الطيب ابراهيم عبد الغني المهاجي إلى إثارة مصطلحات ثورية، وجه إليها العناية المعاصرة، فشدت فضول الدارس والمؤرخ والسياسي والباحث المعاصر، في شؤون الثورة والتاريخ، فكان لعمله هذا نعم المحفز لقراءة الوقائع الثورية والكشف عنها، ولعل هذا من أبرز الأسباب التي تجعل الاهتمام بشخصيته محل عناية وتمحيص، لما تحمله هذه الشخصية من آيات ارتبط بعضها برسوخ ثقافته العربية الإسلامية، وامتد بعضها الآخر نحو الثقافة العصرية، فكان المزيج نعمة نحاول الكشف عنها منها على سبيل المثال:

- التنظيم السياسي،
- التنظيم العسكري،
- التنظيم اللوجيستيكي،
- تنظيم الأخبار والمواصلات،
- تنظيم المراكز عبر أماكنها المحصنة،
- تنظيم شبكات المخابرات

لقد كانت هذه أهم النقاط الأساسية التي سلكتها الثورة يومئذ كمنهج لإنجاحها من حيث تحديد المهام وضبط السلوك العام لدى الفرد والجماعة داخل الثورة

وكذا النصح والحكم والإرشاد وروح المسؤولية، وحتى لا تتضارب المسؤوليات من حيث القرار من عدمه،

وبفضل هذا التنظيمات الثورية التي كانت نابعة عن أصالة رأي وحسن توجيه، سارت الثورة وهي على جانب كبير من التوجه السليم الذي أتاها نتيجة تشبع قادتها وأمتها بالروح العربية الإسلامية، بفضل ما كانت عليه الكثير من بيوتات العلم ودور الثقافة في بلادنا من حيث نشر الوعي الثقافي الديني والتعليمي ضمن عصورها المختلفة، وأعتقد أنه آن الأوان لتدريس معالمها، بإثارة يخوضها المحقق والمؤرخ والباحث والأديب بمجموعة من الشواهد من مختلف الفئات والعصور، وبخاصة من رجالاتها الأوائل من الذين كان لهم دور أساسي في الثورة والجهاد، وهذا مما حملنا اليوم أن ندرسها ظاهرة بظاهرة حتى نتبين كل موقف وما اعتراه ساعتها من زيادة ونقصان، بدلا من أخذ مقاطع من تاريخها مجتمعة وبصورة شاملة، وهي طريقة في نظرنا غير مجدية ولا تفضي إلى اكتشاف دراسة تاريخية لها تكون بذات أهمية،

وقد يكون هذا العمل في نظرنا أكثر حيوية وإثارة للحقائق التي مرت بها الجزائر يومئذ، حيث يجمع الباحث جملة من الشواهد ليبرهن بها لجيل الثورة الجزائرية الذي أتاح له زمنه فسحة من الآفاق العلمية تجعله يتحصل على أبعد معلومة بأدنى جهد وأقل تكلفة، من أنها مواضع صالحة للدرس والمناقشة والحوار وفي ضوئها يحفظ هذا الجيل نصوص وشواهد تكون له بمثابة حجة تدعم رأيه وتسند أقواله أثناء الدفاع عن الثورة ورجالاتها، فهي أجدى في رأينا من إرهاقه بقصص طويلة ليست موضع جدل أو نقاش، ولا تنفع في الدفاع عن قضية ثورية أو ظاهرة سياسية أو مواقف وطنية،

وباعتقادي أن أيسر طريقة وجدتها أمامي للشروع بتأليف كتاب يجمع الكثير من الألفاظ والمصطلحات الغير الواردة في المجمعات التاريخية أو التي كادت أن تنسى بطول زمن، مما لا يعثر عليه الباحث أو الطالب لأستكمل بها نقص ما كتب عن تاريخ الثورة الجزائرية، لعلها تكون يوما مادة صالحة لما ينبغي أن تتضمنه كتب المطالعة المقررة للمدارس والمعاهد والكليات وفي أماكن التربية والتعليم، وبذلك نكون قد أضفنا مادة جديدة من الشواهد والمصطلحات والظواهر الثورية التي لما يطلع عليها الجيل في أقرب تاريخه وأبعد صوره،

ولعل السب في ذلك يعود عندي إلى إيماني العميق بالكتابة في مثل هذه القضايا الوطنية، والتزامي الشديد بمبادئها وقيمها، وقابليتي الموهوبة ورغبتي الملحة لمواصلة جهدي في كل عمل أسعد بحاضره وأستبشر بغده، إيمانا مني بأنه وبعملي هذا سيكون ادخاري له نعم الثواب ليوم الخلود، وهي مادة أصبحت أتوافر عليها في الكثير في مثل هذه البحوث والدراسات التي لا زال فكري يتقد بها اتقادا نشيطا عاملا حافلا بالجديد، هي عندي قادرة على ترجمة خطرات الفكر لمعارف شتى على كثرة ما أمنته الذاكرة في الأعماق من فوائد جمة عن الثورة الجزائرية وأيامها السياسية والوطنية، وقضايا أخرى متعددة الموضوعات والأهداف والغايات من التي لا تكتمل إلا إذا كان المرء مستعد لها بالجهد والصبر والفضيلة والعمل والعزيمة الصادقة، وقدرتها عندي والحمد لله غير محدودة، رغم ورودها متفرقة متشعبة عبر صفحات متباعدة في روايات وأخبار، وفي التماس الرموز لكل معنى من المعاني على شكل يلفت النظر،

والسيد عبد الغني، هو أحد الشخصيات البارزة في السياسة والجهاد والنضال، وواحد من بني عمومتي الكبار العظيمي الشأن[20]، الذين حملوا السلاح وقادوا المعارك في الجبال والشعاب والوديان أيام الحرب التحريرية الكبرى من عام 1954 ، وتصدوا للعدو في الكثير من هجماته التي كان يشنها على مراكز الثورة ورجالاتها ورموزها، الغيورين الطموحين الشديدي التأثر بالأعمال الوطنية والقومية، لطيف المحاورة والمناظرة، يحمل ثقافة تاريخية عالية السند، تمكنه من الاتصال بما يجري حوله من الأحداث، والقدرة على تحليلها ومعالجة قضاياها، شديد الإحساس بدقائق الأمور وخباياها، يملك من الحقائق والخواطر حول سيرة الثورة ورجالاتها في الحكم والجاه والتاريخ والدين، ما لا تتسع له هذه الدراسة،

تولى مناصب عليا في الدولة الجزائرية الحديثة، واحتل مكانا في مضمارها بالقدر الذي أهلته له همته وذكاؤه وعمله وتحصيله وخلقه واستقامته،

ولا زال هذا الرجل متأثرا بالمنهج التاريخي العام للثورة التحريرية الجزائرية الكبرى من عام 1954 للميلاد، فهو يحضى إلياليوم من عام 2005 بعناية المعاصرين من الباحثين والدارسين، الذين يرغبون في المزيد من التفصيلات في كتابات تاريخ الثورة بالرجوع إلى عدد من المصادر والمراجع، فضلا عما جادت

---

[20] مقلات المؤلف في جريدة الرأي في: 03 نوفمبر 1999 ـ و ـ 05 فبراير 2000ـ و ـ 06 فبراير 2000،

وكتاب الأثر الزاهر وذكر النسب الطاهر ص: 41 وما بعدها، وكتاب تاريخ امماجة بين المدلول اللغوي والرسوخ الجغرافي والامتداد التاريخي ص: 319، ديوان المطبوعات الجامعية 2002.

به قريحة الأدباء والشعراء التي تضمنت معلومات تاريخية عن الثورة ورموزها، وأيامها في الجهاد والكفاح،

وهو من المجاهدين الذين لا يزالون يتصدرون كبار عصرهم في العديد من الاتجاهات التي أظهر فيها مكانته غزارة وجودة، تتفاوة في رواياتها بسبب من الاختصار والإيجاز، وبالإطالة والتحليل، وهي صفة تستبين فيها ثقافته باتجاهاتها المختلفة المتفاعلة بأحداثها السياسية والاجتماعية،

وهو من الشخصيات التاريخية الموهوبة التي لا زالت أيامها تصور لنا حياة الاستعمار وأيام الثورة والجهاد والنضال، بكل أبعادها وآفاقها المتعددة الجوانب التي تشكل ظاهرة أو أكثر من ظواهر الحياة الاجتماعية التي كانت عليها هذه الأمة عبر عصورها المختلفة،

وهو من الذين يحملون من التجارب الشخصية، والمواقف المثيرة، والمشاهد المعبرة عن العديد من المعارف، التي كثيرا ما يضعها أمام قارئيه مبسوطة مفهومة، كل هذه القضايا وغيرها كثير ستكون ضمن الخصائص والمزايا التي تشكل مبحثا أو أكثر في عرض الشواهد في فنون القول وصياغة العبارة في ثنايا فصول دراساتنا المستقبلية لهذا الرجل، التي تحتل مكانة بارزة بين المشاريع العلمية التي نعمل اليوم على تحقيقها والعمل فيها، والتى لا يخفى جهدها الفكري المادي والمعنوي على الباحث ضمن إطار عمله[21]،

[21] تاريخ امهاجة ص: 319، مصدر سابق، وكتاب (الأثر الآفل والكفيل الغافل في حلى أرض القعدة من بادية امهاجة بعد ثقافي وتواصل إنساني) ص: 291 وما بعدها ، طبع دار الأديب وهران ، 2021 للميلاد،

ولعل تملكه لمثل هذه القضايا والأحداث قد جاءته من محيطه العائلي الذي كان يتوفر على اعتداد بالنفس وتفاخر بالعلم والمعرفة والحسب والنسب والجاه، وجوانب الجهاد والنضال والتاريخ وحب الوطن

وقد قال لي يوما "ياعمار، يابن العم" ناصحا إياي بما ملكت يمينه من الخبرة وطول التجربة، فإن هذا الزمن أصبح لا يميز بين اللونين، "الأسود والأبيض" كما أنه لا يفرق بين "الجهل والعلم، أو "الوفاء والإخلاص" فهما عنده سيان، فكيف به أن يعطي لكل فرد فرصته الكاملة في مجال ما اكتسبه من خبرة في الحياة وميادينها المختلفة، وما كان يأخذ به الإنسان نفسه من أساليب العمل والجد والتحصيل والنهوض بمهام يتطلبها منه واجبه الوطني وإحساسه بروح المسؤولية التي ألقيت على عاتقه نحو أداء هذه المهمة أو تلك،

وما كان بيني وبين السيد "عبد الغني الطيب ابراهيم" أمد الله في عمره من علاقة المودة الخالصة، والمحبة الصادقة، والوفاء الحق، ومجالس طلب العلم، الماثلة في أيام الزيارات التي نؤديها لبعضنا البعض من حين لآخر إلى اليوم، وما يتبعها من سرور ومرح وتقارب في الأفكار والمشاعر والقلوب عند اللقاء، وألوان الحوار في الثقافة والسياسة وما يقتضيه المقال من تجاوب وتفاعل، لهو خير تعبير على ما تشكله هذه العلاقة من مثل عليا، في هذا الترابط الذي يحمل أكثر من صفات وملامح، المتقاربة إلى حد بعيد في الآمال، سواء أكان ذلك من حيث عرض الصور والأفكار، أم من حيث المبادئ والقيم والأخلاق،

وهذه القضايا وغيرها كثير، هي التي أوحت لي بأن أعطي لهذه الشخصية مكانتها التاريخية في هذا البحث الذي أسميته " المجاهد الطيب ابراهيم عبد الغني المدعو (توفيق) سيرة وجهاد"، جمعت فيه كل ما وقفت عليه من آثار

طيبة، وما أحمله عنه من معارف واسعة أرستها قواعد العلاقة التي تربطني به، المبنية على الثقة المتبادلة، التي تنزل إلى أعماق النفس ومنازعها وخوالجها، التي توحد نظرتنا في الحياة والناس، من حيث العلاقات والأفكار والتصورات والنتائج، وبها أعود إلى مقصدي الذي لم يسبقني أحد إلى الإلمام بمحتوياته الفكرية ، ومواضعه المتعددة وفعالياته المختلفة، وعلى كل مصطلح من مصطلحاته التي لم تر النور قبل هذا البحث الذي أنوي العمل من ورائه تحقيق عمل يهدف إلى تهيئة أرضية ثقافية تاريخية وجهادية ثورية، لأقول:

لقد اتخذت الثورة الجزائرية لنفسها عدة ألقاب، منها: ثورة أول نوفمبر باعتبارها أنها قد اندلعت في اليوم الأول من هذا الشهر من عام 1954 للميلاد، وثورة التحرير الوطنية نسبة إلى جبهة التحرير الوطني الذي انفصلت عن الحركة المصالية الأم عام 1945 نسبة إلى رئيسها السيد مصالي الحاج رحمه الله [22]

[22] أنظر كتابنا ـ المجاهد سي محمد الصحراوي ونضاله السياسي ـ ص: 32 ، مخطوط، أتوفر عليه ضمن مجموعة من المخطوطات الجاهزة للطبع، حيث ورد فيه مسح شامل لهذه المرحلة التاريخية وما شابها من انقسامات وتسميات لأحزاب وجمعيات.

ترأسها لجنة، ويكون عدد أعضائها من (3) إلى (4) وفي الغالب يتم تعيين أعضائها حسبما تقتضيه الحاجة، ويسمى قائدها (..... برتبة نقيب) ويساعده في ذلك ثلاثة ضباط: عسكري، سياسي، إخباري،

وفي بعض الأحيان يضاف لها إطارات أخرى، كالصحة، والمؤونة، وتنقسم إلى: قسمين،

* ـ *النواحي*،
* ـ *الدوائر*،

وتهيكل بنفس النظام الذي تهيكل به المنطقة، لكنها في كثير من الأحيان تتوسع إلى أبعد منها، بسبب كثيرة مهامها، لأنها هي التي تمد المنطقة بجميع حاجياتها، ماديا وعسكريا،

* *القسم*: ويرأسه عريف وقد تتطلب مسؤولياته مساعدين آخرين يتقاسمون معه السلطة من حيث التنفيذ وإدارة الأمور، وهو في مهامه وتوسع إدارته يفوق ما تضطلع به المنطقة أو الناحية،
* ـ *العرش*:

ويتمتع بنفس الهيكلة التي يتمتع بها القسم،

* ـ *المجموعة المحلية:*

وتشمل: القضاء، ويتكون من ثلاثة عناصر، طالب يحمل كتاب الله وله إلمام بالشريعة الإسلامية، وآخران يمثلان القسم والناحية، ومنها، التعليم ـ المراكز ـ التموين ـ الحراسة ونعني بها حراسة (الطرق، والقرى، والمدن،)

ـ المراكز، وتشمل الإيواء من حيث المؤونة واللباس، واستقبال المرضى، وعابري السبيل،

* ـ *المخابئ:* بدءا من سنة 1956 وبعد دخول جيش التحرير في المعارك مع العدو، أصبحت الثورة في حاجة إلى مخابئ لإيواء الجرحى والمعطوبين، التي تحولت في ما بعد إلى مستشفيات بكامل تجهيزاتها ومعداتها الطبية،

* ـ *الجندي:*

وهو المحارب المقاتل، بعد تأديته اليمين على المصحف الشريف أمام ثلاثة من الشهود، حيث يضع يده على المصحف الشريف ويقول: (بحق هذا المصحف الشريف أهب نفسي للجزائر حتى تستقل أو أموت) وقد أبطل بهذا العمل بعد إتمام هيكلة جيش التحرير الوطني والدخول إلى المعارك مع العدو في نزال مباشر،

* ـ *المسبل:* وهو الرجل الذي يأخذ تدريبات شبه عسكرية ويشهد له بحسن السيرة والسلوك، ومن مهامه:

ـ دعم المقاتلين الثوار،

ـ تنفيذ بعض المهمات كالحراسة واليقظة المستمرة،

ـ الاتصالات ما بين الأقسام والأعراش، وقد تتجاوز في كثير منها إلى النواحي،

ـ جلب المؤونة ونقلها إلى مراكز أخرى ذات الاتصال المباشر بالجيش وقيادته،
ـ التعامل مع العصاة، والفئات المنحرفة،

* *ـ الفدائي:*

وهو تنظيم خاص بالمدن ويتلقى الأوامر من مسئول التنظيم للحي أو للمدينة، والذي يعد ضمن هيكلة المدن التي كانت تعتمد في تنظيماتها على أفراد دون أن يكون لأحدهما علم بالآخر، وكل فرد يرخص له بتكوين جماعة على أن لا يتجاوز عدد أفرادها (3)، مهمتهم العمل على إقلاق الاستعمار الفرنسي، وتشتيت فكره اتجاه أعمال لا أول لها ولا آخر، والتي كانت اسلحتهم لا تتعدى قنابل يدوية أو مواد متفجرة مهيأة بقصد بعث الرعب في صفوف الاستعمار، اعتقادا من أن الثورة موجودة في كل مكان سرا وعلانية ، ويظل هذا الفدائي يؤدي واجبه الوطني إلى أن ينكشف سره، حينها تعطى له الأوامر ليلتحق بصفوف جيش التحرير الوطني بأرض المعركة،

ومنهم من كان عمله ينصب فقط على توزيع المناشر تختلف باختلاف مقاصدها وأهدافها وأغراضها من حيث الأسلوب والمضمون، بعضها يتوعد أعوان الاستعمار بالقتل والاغتيال ، وبعضها يصف المعارك الضارية في الجبال بين جيش التحرير الوطني الذي اختار خوض معارك الحرب كي لا يعيش الوطن في ذل ومهانة، حتى يبلغوا حريتهم واستقلالهم وإما أن يموتوا ميتة كريمة[23]،

---

[23] أنظر المبحث الأول من الجزء الثاني من كتابنا (تاريخ الجزائر الثقافي السياسي الديني والاجتماعي، تحت عنوان (في الطريق إلى الجهاد)

رسالة من أعز رفيق إلي من يسمى السيد (توفيق)

وهي رسالة حضرني خطابها ليلا وأنا لا أزال أدون العديد من الملاحظات ضمن سلسلة من الأبحاث العلمية من التي كانت تجمعني أشتاتها على الدوام على كرسي تعودت راحته في سنين في مكتبتي الممتلئة بالعديد من الكتب النفيسة المحتوى، ومصادر ومراجع أخرى كثيرة من التي لا زالت تؤدي مهمتها في أبحاثي التاريخية والعلمية، من التي بت فيها عَلِيماً بنفيسات القراءة، والتي أصبح فيها لماضي حياتي أثرٌ يستطيع أن يومئ لي في كل وقت وحين، لكل ما أحتاجه من مادة تعينني على مواصلة البحث في معنى مليح وفكرة بديعة، وهي كتب تراثية لا تزال كعادتها تمد الباحث والقارئ بكثير من الأسرار العظيمة، في أثرٍ مكتوبٍ من الذي كان ولا يزال يتوالد ويتكاثر في وجدان الأمة، حيث لا يقف ولا ينتهي عند حدود في زمان أو مكان، وهي مادة ضروري في الكتابة والقراءة، لأنها تزيح الضباب عن كل ظاهرة غامضة أو تاريخ مجهول، ومثل هذا التراث الذي أنطمرت أيامه أو كادت في أعماق الزمان البعيد ومجاهله السحيقة، الممتد بفضائه الرحب وسمائه الواسعة، مغطيا تلك المرحلة التاريخية الحتمية التي مرت بها الثقافة العربية حينذاك،

كل ذلك وغيره كثير يجعلني أعيش في فضاء مكتبتي الواسع الرحب البعيد الأفق، المملوء بكل ما جادت به أيامي وليالي، التي كثيرا ما كانت تطول عندي حقائقها وأسرارها، ما جعلني أوشح اليوم رسالتي هذه بجمل من الألفاظ والكلمات من التي كانت تثير عندي الكثير من الاستطلاع والاستقصاء، نظرا لما تحمله النفس من صدى التقدير والاحترام اتجاهه هذا الرجل الفاضل أهل الأدب والمروءة والحلم والروية المعروف بالسيد (سي توفيق)، الطيب ابراهيم عبد الغني، والتي تعد جوهرة هذا التدوين لما جاء فيها من حقيقة أمر في رقة كلام وأصدق صورة،

ومن غير كامل استعداد أو سالف ذكر أو تفكير، بدأت أخط وأمحو بنفس تعانقها الفرحة والسرور، وفي سكون وتنهدات طويلة، وبوقوف نبضات القلب تارة، وبيد مرتعشة ظلت تفرك إحداها الأخرى تارة أخرى،

وأنا بينهما جريح ممزق، لا حول لي ولا قوة، فخذها يا سيدي على ما أتتك عليه، واقرأها قراءة تدبّر وتمعّن، فهي تحمل لك أعماق الكثير من المنفي الشريد والحاضر الأكيد، ومن الذكر ما يحمل في طياته تجعدات غريبة ملتبسة، جميلة بمقاديرها ومحاسنها، عميقة بمداركها وتعلاتها، من التي كانت أيامها عندي وافرة زاهرة بعوامل الواجب المحتوم الموروث حبا وشجاعة، قوة وإيمانا،

رسالة أكتبتها إليك يا سيدي وبروح ظامئة لا تنام، أثارت ما سكن في النفس من أشباح وخيالات أزمنة غابرة وما حضر منها وما غاب، من الشاهد القديم الموثق والحاضر المعلوم، وبكل ما تحويه أعالي رفوف مكتبتي المركون عبر زواياها المبثوثة هنا وهناك، وبيدي قلم كثير مداده، عجيب أمره، ينتقل بي من ظاهرة إلى أخرى، حيث تمتزج مداركي في بعد زمان في آفاق، وكأني به

هو الأعلم بحاجتي والأدرى مني بمطالبي، حتى أصبح أمره في الفكر نافذا، وفي المخطوط رفيقا قرينا،

هذا يا سيدي ما ظلت تمدتني به ليلتي تلك المبطنة بالغيوم، المحاطة بأخيلة الروح، المكتنفة بأشباح الفرح، المفعمة بحقيقة الحياة وأمانيها، وما مدني به زماني الذي لا زال الكثير منه يئن تحت سبات الجحود والإهمال، والأطمار البالية، التي تخفيها ستائر الأنانية ويد القدر بجحوده ونكرانه، والحياة وغوامضها، وما جادت به قريحتي في فضائها المنظور وغير المنظور، وقد أسميتها بـ : (رسالة من أعز رفيق إلى من يسمى السيد توفيق)، بعد أن استكملت أصولها، واستقفلت أبوابها، وبلغت منها جمالها، باستطلاعي خفايا مكنونات صدري وما جادت به ليلتي، التي كانت مفعمة بكثير من الذكريات الهائجة في أعماق قلبي في فرح في بهجة وسرور، من غير زيادة، فقلت:

إلى الأخ الكريم وابن العم الوفي العزيز السيد (عبد الغني) المحترم،

تحية طيبة متصلة الدوام كفيلة بالسعد المتوالي في الحال والاستقبال، وبعد، السلام عليكم ورحمته تعالى وبركاته،

فهذه رسالة أبعث بها إليك أخي الكريم وابن العم الوفي الصادق الأمين السيد: ـ عبد الغني ـ من صميم الفؤاد سـرورا، بعد أن تغير الدهر وغيرنا وسار إلى الأمام وسيَّرنا، وأسفرَ عن وجهه فأذهَلَنَا، ففرَّحنا تارة وأحزننا أخرى، فيه من تعِلاّتِه، ومن حديثه وشجُونه وحلاوته، ومن مؤتاة الأيام ومتابعة المقال في الفعال،

وقد تجنبت فيها الإكثار من الكلام، حتى لا يكون فيها استكراه وتنافر، لتقـع في النفس موقع الاستحسان، طالبا لكم طـول العمر، في صحة وعلوِّ

قدرٍ، وثبات عزيمة، تبقون بها إن شاء الله تعالى، وإن طـال بكم الزمن وذهب بكم العمـر مداه، طيّبين سالمين معافين، وبعد التوكل على رب العالمين، أكتب إليك أخي الكريم " سي توفيق" وأنا حائر مجدوه، بين أهوال الليل ومخاوف ظلمته التي تتماثل أمامي متثاقلة متأنية وبصدر منتفخ يسير، وملامح مكتئبة، طوله مثل عرضه، وهو يحتال عليّ مستظهرا قواه، جبارا يهز كياني، يركض لاحقا بين ضلوعي يتصاعد كغصاة إلى أعماق قلبي، حتى يزيل مسراته وأفراح النفس فيه،

ولا أحد يا سيدي يسمع صراخي، يسمع أنيني، الذي لا تسكته دموع ولا زفرات أنفاس ملتهبة، ولم يكن ساعتها غير الله ناصري، والقرآن أنيسي الذي يملأ نوره خلايا ذاتي ماحيا كل التباس عن مكامن قلبي، فهو نعم المولى ونعم النصير،

فوحشة الليل باتت تخيفني، ووحدتي بين يديه تحزن نفسي، وأنا يا سيدي في مكتبي أنظر إلى أكداس من الكتب القديمة والأوراق البالية المنثورة، شارد الفكر أتأمل خفايا الوجود، وحيدا أترقب الصباح صابرا بأنةٍ وسكون، وبأعنة الكائنات،

وقد فاضت عواطف الفؤاد واتقدت، وكأني أبحث فيها عن النجم الذي يهتدي به الحيران، وقد تفتحت لي معه آفاق الخيال كتلك التي تلهم الأدباء والشعراء والمفكرين، في طول الليل وفي أعماق الوجود،

وقد تمثلت أمامي مذاهبهم وإنشاءاتهم، وكثرت بين يداي أخيلتهم وأنسجتهم، بتفاصيلها ومعالمها، حتى أصبحت عندي أكثر سهولة، بمنتقيات كلامها ومنتخبات معانيها، وكأني بها فكرة أزلية قد أنزلت علي من السماء بأفكار عجيبة

أكثرها حقيقة وأبعدها عمقا كتلك التي لعبت أدوارها يوما الأيام والليالي على مسارح الوجود،

ومن الغريب أنه في كل حالة من حالاتها التي يزورني فيها ذاك المرض اللعين حيث كنت لا أستطيع الجلوس أبدا، كاتبا أو مطالعا، محدقا بأعيني إلى سواد الليل حيث الفضاء الذي يغمر بهوله تساؤلات النفس التي كثيرا ما تنكرها الأفكار المحدودة وتتمرد عليها القلوب الضعيفة، إلا في هذه الليلة التي وجد فيها الفكر ميلا إلى معاشرة الكتاب والورق والقلم، والأفكار فيها منتظمة والعواطف بها مبتهجة، بأحسن ما حضرني من الكلام ومن الأسرار التي باتت تراود خيالي وتتمايل مع أفكاري وأحلامي،

فقلت على طريقتهم أنشد ممن أرى حضورَهُ بجانبي، بكريم النفس وحسن الرأي، المأمون النصيحة، الناصع الطَّرف، العظيمِ الخُلُقِ، الخالص الود، الحلو الصداقة، العارف بمحاسن الأمور، ومواضع الكلام الذي استفاضت فيه علوم العربية ومشتقاتها، مع تهذيب أخلاق، وكريم أعراق، وسعة آفاق،

ذاك هو ابن العم (توفيق) الرجل الفاضل الذي حنكته السنون بتصاريف أنواع الأمور، برخائها وبؤسها ورجائها ويأسها، فكان فيها ماضي العزم حامي الذمار، وإني لا زلت معه على العهد في شدِّ تلك الأوتار، التي تربط الأسرة بتلك الديار، بأرض القعدة من بادية امهاجة التي لا زالت أيامها محاطة بالمسارح المشتعلة، التي أعطت للتاريخ شعاعا لا زال يوقظ في أعماق أبنائها صحوة العلم والجاه والاحترام والوقار، فجاءت ليلتي هذه وأنا رائق الألفاظ، بهجُ المعاني، مصغيا إلى صدى النفس وقد أخذ بي الحال بعداً حتى حضر واهب الوجود، فبدأت أقلب النظر في ذكر ما مضى وما فات، وما تأخر وما هو حاضرٌ

آت، بحسن نظر وترتيب سيرة، وتنظيم محاسن، من غير اغترار برأي ولا تزكية نفس، حتى بلغت الرسالة أجَلَهَا، وتقدم الحال وعادني ذاك المرض اللعين الذي يستنزف جهدي كلما صحوت، ويستنفد عملي كلما أحببت أمرا، يجعلني حريا بنور النهار وهدوء الليل،

وهو كعادته لا يوصف إلا بسلب هناءتي بأشراكه وأشواكه وأقداره المبثوثة، وحبائله المنصوبة، التي تجتذب القلوب وتغتال الألباب، ولن يتركني أبداً إلا والحيرة تملأ فكري، والقلق يشد صدري، فهو لَعِينٌ لا يبدي لك أبدا باديةَ وِفاقٍ إلا عن خافية نِفاق، يجري معي في كامل سوادي، في أطرافي، لا تعرف له ساعتها شكلا ولا صورة، طالبا لنفسه فرصة الانسلال وخِلسة الانتقال، لعنه الله من ضيف زادني إليه سكونا وركونا،

لقد بت ليلتها أشعر أن أنفاسي تقطعت أو كادت، بأعمال مكايِدِه ومُخاتلَتِهِ لي، لا أطيل عليك أمره يا سيدي، فأنا عازم بحوله تعالى وحسن عونه على خذلانه بصبري وثبات أمري، حتى يلوذ بالموت والفناء، وأهزمه شر هزيمة، أقوض بها عرشه وأتركه هاربا مفلولا،

لقد كانت أيامنا ، يا حافظ حقوق الصحبة، في مهمات الأمور، العامرة بالتناصح والتشاور والتوازن والتعاون على كل ما كان ينوبنا في دهرنا ولا تزال بقايا من الأمور صغيرها وكبيرها في النفس المنظورة وغير المنظورة، وعلى بعد خطوات شاخصة مكانها تلك القرية التي لا زال تاريخها سائرا بكوكبة من رجالاتها الصالحين وأبنائها الطيبين الطاهرين، حيث كنا فيها أرفع الناس عِماداً، وأهلَ يقين ومعرفة وافية، وبصيرة ناقدة، وقلب واع مدرك لثوابتها،

لقد نبغ الوجد فِينا بأرضها بأولاد سيدي الفريح المهاجي صبية، يوم أن كان العلم عندهم يزهو في صدور رجالاتها الكبار، في ذكر ما أنزل الله من رسالة سماوية بمبادئها وقيمها وحكمها وفرائضها وسننها على سيد الخلق محمد صلى الله عليه وسلم وآله الطيبين الطاهرين،

وقد كانوا في الوطنية أقوياء، وفي الدين والإيمان أشداء، شيمتهم العدل والإنصاف والإيجاز والإحكام، وإرسال الكلام على السجية، وقد كانوا من الكثرة أكثر من أن يحيط بهم محيط أو يقف من وراء عددهم واقف،[24] وقد أتيت على ذكر المشهورين منهم مستشهدا لهم ببعض الآراء المقتضبة من التي عثرت عليها في ثنايا كتب الفقه واللغة من المخطوط المأثور، والتي هي عبارة عن إضافات استخلصوها من مطالعاتهم واجتهاداتهم في الدرس والتحصيل لأمور الحياة الدنيا وحقائقها، فكان لهم فيها فضل الإبداع والإضافة والتجديد، بقدر مساهماتهم في إثراء التراث العري الإسلامي الديني واللغوي بما قيدوه من معان شاردة لجانب من الحقيقة كان خافيا يوما عن الوعي الإنساني،

وبفضل ما كانوا عليه رحمهم الله في تنشيط كتاب الله الكريم حفظا درسا وتعليما، والعطف على أهل العلم والعلماء وشيوخ الذكر من أوليائه الصالحين، من سخاء، ورجاحة حلم، ومعدنِ فهمٍ، وينبوع علم، وسياسة وتدبير واجب على كل مسلم ومسلمة، وقد صانهم الله لسماحة أخلاقهم، وصُونِ أعراقهم، وقد أعطاهم الله المزيد من النظر، فيه المحجوب المكنون، والظاهر المعلن، الذي به تفاخرت العرب وتفاضلت أصناف الأعاجم،

---

[24] انظر : كتابنا (تاريخ الجزائر الثقافي الديني السياسي والاجتماعي) الجزء الخامس - من المخطوط،

وما ديارنا بأرض القعدة يا سيدي، إلا بيوتات عامرة، لا زال بها آثار الأولين من تراث وفضل وعلم، قضينا فيها أولية أيامنا على مناهج العصر الذي عاش فيه الآباء والأجداد، الذي لا يقاربه عصر فضلا عن أن يأتي بمثله، حيث كانوا من العلم بمكان مكين، وبناة مجد وأرباب جد، في شهرة وسعة آفاق، على امتداد زمان، استطاعوا أن يلبسوه ثوب المعاني الأخلاقية والأفكار البالغة الأثر القوية الإيحاء التي تساعد على فهم النفس البشرية وتسلط الأضواء على جوانبها الخفية المعتمة، وهو عصر أنجب نخبة شهيرة من شيوخ العلم، كالشيخ سيدي الطيب بالفريح المهاجي رحمه الله، وإخوته الخمسة، أولهم عده وثانيهم الصحراوي والفريح ومحمد السني وقدور والطيب الذي قال فيهم صاحب (الدرة الوهاجة في نسب سيدي الفريح من آل امهاجة)، في تواضع ومعرفة فضل وانقياد[25]، قولـه:

هم إخْـــــــــوةٌ سِتّةٌ دارُوا على فلـكٍ
يَجْـرِي بهم وأبوهُمْ "مصطفى" قُطُبُ (26)
مُكرّمُـــــــونَ شيُـــــــوخٌ لسْتَ تَعْدِلُهُـمْ
بثـــــرْوَةٍ طـــــــــــــابَ أمٌّ منهـم وأبُ
فبِكرهم "عدّةٌ "شيـــــــــــــخٌ يحيـطـُ به
لَدَى المَحَـافِلِ جمْعٌ سادةٌ نجُبُ(27)

---

[25] أنظر كتابنا (كتاب الأثر الزاهر في ذكر النسب الطاهر) ديوان المطبوعات الجامعية ـ وهران ، 1998، للميلاد،

[26] نقطب: المحور

شقِيقُهُ الشيخ "صحراوي" لو اسْتَعَرَتْ[28]
في النـاس مَكْرِبة تُجْلَى به الكُرَبُ[29]

وفيهم سيد "الفريـــــــــــــــح" قد شهِدَتْ
له الأقـارِبُ إنْ حَلّتْ بِهِمْ نُوَبُ[30]

ورابعُ الأخــــــــوةِ "الســـــني"كـان له
دورُ القُضَـاة حَوَاهُ ثوبُهُ القَشِبُ[31]

وكان "قـدور" فيهـم حافظًـــــا فطنًا
سُرّتْ بطلعَتِهِ السّاحَـاتُ والرُّحَبُ[32]

و"الطيّبِ" الأصـــــــلِ لم تفـْتُرْ عزِيمَتُـهُ
تـراهُ بالعلمِ والإيمـانِ يخْتَضِبُ[33]

أولئـك الستة المشهــــــــــــودُ فضْلُهُمُ
أبوهـم"مصطفى"للخيـــرِ يُنْتَدَبُ[34]

---

[27] نجب: نجباء-اشراف

[28] استعرت: اشتعلت

[29] تجلى بها الكرب: تفرج بوجهه المصائب عن الناس.

[30] نوب: النائبات، الشدائد مفردها النائبة.

[31] القشب: الثوب الجبيد.

[32] الرحب: جمع الرحبة الساحة.

[33] يختضب: يصبغ بالحناء

[34] ينتدب: يرتجي ويطلب وينادي.

ابن "الفريـح" سليـــــــلُ العلـمِ سِيرَتُـهُ
في النـاس معروفةٌ حفّتْ بها الشُّهُبُ[35]

وأمثالهم كثير، ممن تركوا فينا يقظة فكرية علمية لا زالت في أعماق النفس كامنة، تبث أسرارها وتعطي ثمارها، ترفع من تشاء وتعز من تشاء، حيث تحققت أحلام الكثير منهم بأن فتح الله عليهم بحفظ القرآن وجعل همتهم في العلم ومعالي الأمور، حتى أصبحوا كمالا في كل فضيلة، وحسن السّمْتِ والجلال المشهور، ودعواتهم من الله مستجابة،

لقد أصبحنا اليوم أكثر من ذي قبل، نتشبب بذكر مسقط رأسنا، ونشتاق إلى البيت الذي ولدنا ونشأنا وترعرعنا فيه، حيث كانت الحياة بيننا نعيما، والعمر حلما جميلا، بما فيها من جمال الربيع ويقظة الحقول وغضب العواصف وفرحة الشتاء، وسط الأعماق ومسارح الرؤيا، بين عشيرتنا وأهلنا وبني عمومتنا،

وقد رعانا فيها الآباء والأجداد أحسن رعاية، شدوا بأيدنا فعلمونا أحسن تعليم، وربونا في أجمل سيرة وخلق قويم، في وقت كنا فيه لسنا بقادرين على مس حقيقتنا بأيدينا، حيث كان الغد يملك سرا مكنونا لا يعلمه إلا الله، وقد كتب الله لي أن صرفتُ برفقتك يا سيدي ربيع العمر فما أعظم فرحي بمرآك، اليوم وغدا وبعد غد إن شاء الله تعالى،

فوالله ما كان ذاك المقام الذي أهديتني أرضه، وملكتني حقوقه بلا طارف ولا تالد، بأرض القعدة، إلا محبة قلدتني بها القلادة الحسنى، سأجعله محصورا

---

35 الشهب: جمع الشهاب، النجم- سيرته عالية سامية

أبدَ دهري في بيت يتلى فيها كتاب الله حفظا وقراءة وتلاوة، ولقاءً لأهل العلم والمعرفة حفظا للغريب وللغة والآداب، وتوسعا في الدرس والتحصيل، تفسيرا للقرآن الكريم وتفقها في الدين وحديثا وسنة نبوية شريفة، وسائر العلوم الأخرى، حتى تسير بذكره الركبان ويصبح اسمه بيتا من بيوتات العلم وحفظ القرآن، معروفا في كل قرية وبلدة ومدينة وعلى كل لسان، وستجري فيه يوما في طول زمان وبعد آثار، الإشارات التاريخية، بكريم الصفات التي تكون مبتدأ الكلام الذي أوله يخبر بآخره،

رسالة، ستكون لنا غدا أجراً موصولا، وعملا عند الله مقبولاً، وستراً مسدولاً، بجاه خاتم الرسل الكرام، عليه أفضل الصلاة وأتم السلام، داعيا لك دعاء لا تحصيه الأقلام، وتحيات على مر الدهور والأعوام، بالرضا والقبول والمحبة المملوءة طهرا وجمالا،

لم أكن فيه من الساعين أبدا، طمعا في الدنيا بقدر ما أسعى من ورائه أن يضل من بعدي زمانه حاضرا يركض لاحقا بماضي الآباء والأجداد متعمقا بدرس آثارهم وعوائدهم وتقاليدهم وبين مطولات كتبهم في استظهار مباحث البصريين والكوفيين ولغاتهم واشتقاقاتهم بكثير من ألفاظها ومباني معانيها وبيانها وبديعها،

واليوم وقد طوقني الزمان بكثير من أوهامه وخرافاته مما جعلني أنتقد حضورها وأمقت أعمالها وأتبرم من مآتيها، ودعاني إلى الاستثقال والملال، وقد طرقتُ فيه أبواباً شتى، في مسيرة بلغت بي ضعفا تارة، قوة وحكمة أخرى، حتى بدت لعيني أيامها كالخطوط متأملا أسرارها مستفسرا الكثير من معاني الزوائد فيها حتى أصبحت أختلق لنفسي أعذارا هي أقبح من الذنوب،

ولكنني أعود فأقول رحمه الله أولئك الآباء والأجداد لأننا برضاهم، نلنا العزة والتأييد والظفر من حيث درجات النضج ومستوى الذكاء، فكان الأبناء في الجهاد طوداً، كالتاجي صدراً، بعد أن ناداهم الوطن، بشجاعة عالية، ذات الأخلاق الرضيّة التي ورثوها من صفوة آلِ امهاجة، آلِ البيت الطاهرين، أهل القرآن والعلم والعز والشرف،

ففزتَ في الجهاد والعلم والآداب ببهجة أولي المجد من الأنام، وفي الحياة الدنيا ثناء في جود ونبل ونباهة وسيرة، وفي التاريخ أجلَّ قدْراً وأرفعَ ذكراً،

وقد أكرمك الله بحفظ القرآن بأصواته ومخارج حروفه ومعانيه، في بيت جعله العلم والآداب والأخلاق فاضلا، فكنت به قادرا على حمل ما يجول في تلافيف الحياة الدنيا ومن مكر الناس وخبثهم، من أولئك الذين يبدو زمنهم متشحا بضباب الزوال وظلمة القبر،

وكنتُ إلى جانبك في القلم حبرا سائلا على الدوام، تثير البواعث في خاطري بكثير من الإنتاج الفكري وحالاته النفسية المختلفة ذات التصوير الفني الأدبي وبشيء من الكشف والفهم والتوضيح، تبعا لاختلاف الدواعي والبواعث المادية منها والنفسية، دونما محاولة وبأسلوب مؤثر مُوحٍ خيّرٍ جميل،

فبهذا السقي وبذاك النبع الأصيل أكرمني الله من هذه الدنيا بقليل أيامهم، والمأثور من خصالهم، ومن صالح دعواتهم العظيمة، فكان أن حقق الله لي حسن رغبتي بأن شرح صدري بنصيب من علوم الدين والدنيا، فألفّت فيها الشيء الكثير من الكتب والمقالات والرسائل اتبعت فيها طريقة الأولين من حيث الحذر الدقيق والتحري الشامل في كل ما أحقق وأكتب، لعله يكون يوما مثارا جدل للعلماء وحافزا لطلبة العلم ومريديه، جمعت فيه كل ما حضرني

، من نوادر وأخبار وإشارات إلى وقائع الزمان وأعلام التاريخ والعلم واللغة والآداب، وقد كان لك حضور في كل ما كتبت ودونت، أدامها الله سيرة، وأنعمها حكمة،

وقد صِرْتَ بها حديثا مأثورا عند طلبتي والناس من الكتاب والنقاد والباحثين فيما كتبت وما دونت، فمنهم الشاكر بلفظه الذي لا غاية لصاحبه، ومنهم المحب بقلبه، الدال على صدق لهجته وخلوص نيته، فكنت فيها من مفاخر الناس سرا وجهرا، لم يغيرك عني يوما أحد في لقاء مع أهل العقول المنتصبة تجاه حوادث الوجود وفواعله في فضاء لا حد له ولا مدى، في مسامع آراء في استعطاف في تسول، أو معاملة في حق أو حوار كان العلم محيطه والعقل مدبره وحاكمه، ولم يؤثر فيك عدوٌّ مُعلن، ولا كاشح مسرّ، ولا جاهل غبي،

تلك إرادة تركت فينا آثارَ العقول الصحيحة، والتجارب الحكيمة، والمحبة الصادقة العميقة، والخلق الجميل الطاهر الخالد، فكان الرأي فينا عدل صائب، والخلق دائم، والعيون ناطقة بالمحبة، والصدور مأهولة بالمودة في نبالة روحة وصدق عواطف،

لقد خبرتُ الناس يا سيدي كغيري ممن خبر سواهم من لدن آدم عليه السلام، إلى سيدنا محمد خير الأنام، أخذتها درسا من الكتب السماوية كالتوراة والأنجيل والزبور، ومن القرآن والسنة النبوية المطهرة الشريفة، وتصانيف أخرى من خطباء البيان، وفصحاء اللسان بفضل علمهم المجاز الذي يتنافس في اقتنائه المحصلون، وأنت الأول من يفاخر ويجادل، لما عندك من نظر في هذا الحال، ومستجد لما يأتي به الليل والنهار،

فوجدت مذاهبهم قد تعددت، وشيعهم قد اتسعت، وقد كثر فيهم نطاق الخبث واللؤم، حتى عادوا أمثالا سائرة وزادوا الطين بلة، بما يحملونه من سهام حادة، تبقى بقاء الوشم لما فيها من الذم والتحقير، ومن سوء أخلاق ووضاعة نفس، وقانا الله شرهم وشر من والاهم إلى يوم الدين، لا يتركون أحدا على صدق اللهجة وخلوص النية، وهي غاية فيهم للكسب والتعرض، وما أكثر أعمالهم التي لا يتسع المقام لذكرها والتي تنبئ عن حيلهم ومقدار جهلهم، حتى يتعرف الناس عن ثمارهم وقبح آثارهم،

هذا باب طويل شهدت به التواريخ وأنبأت به الآثار، خيره عندي ما تسابق منه جريا على اللسان، بمعانيه وألفاظه دون تدبُّر أو تمعُّن، وهو الأمر الذي جعلني أستفيض في ذكر آثاره في شتى أوقاته الزاهية، وأيامه الباهية، وقد توسعتُ فيها أيّم توسع، حتى باتت تقع عندي في نحو اثنتين وثمانين صفحة، سبحت فيها بقلمي سبحا طويلا، شرحا وتفصيلا، كنت في أغلبها مغلوبا على أمري بفضل أشعتها القوية التي كانت تنير القلب وترفع النفس من دركات صغائر الأمور إلى أكبرها حياة جليلة وعظيمة، وقد جمعت فيها كل شريد طريد، وقريب بعيد، وحاضر شاهد،

هذا ما انطوت عليه سريرتي ليلة الليلة، وجادت به قريحتي من ابتهاج وسرور وأوقات دارجات في اطمئنان، رفعت عني غيابات ما سَدَلهُ الليل دون نظري، أردت إفراغها بصدق وأمان، حتى تكون أيامها حياة لنا إلى يوم الدين، فيها من التآخي ما فيها من ذكر الإنسان لأخيه اعتبارا ومحبة، وأنا في هذا الحال، أتأمل ليلي وطلوع نهاره وما فيهما من مظاهر وأشباح ومتاعب وأثقال، وبدائع وغرائب وزخرف ومتاع، وموت وميلاد،

تأميلا لما يخطر في النفس من شارد ووارد، اتجاه ما أشكوه من ألم ذاك المرض اللعين الدفين المعلن منه والغير المعلن، ومن مشقته وتكْدِيته، راجياً للنفس أن تنال من أيدي آسريها حريتها وراحتها واطمئنانها، التي باتت تنتكس وتنقلب راجعة بعكس ما كانت تأمل وتفكر، اتجاه مستقبل أراه رهين سلامتها وقد نيفت عن السبعين، فلم يبق لي من العمر إلا أقله، ومن الزمان إلا قدره،

فالزمن يا سيدي كتوم ظالم، قاهر خادع غرور، لا يمنح إلا ريثما ينتزع، حيث يبدو خيره لُمَعاً ثم ينقطع، ولكني والحمد لله لا أزال راض بحُكمه، بقصده وظُلْمِهِ، جل الإله الذي علاه وولاه،

لقد كنتَ ولا زلت يا سيدي تمثل عندي أقدم عهد وأكثر علم في تاريخ الثورة الجزائرية من عام 1954 للميلاد، التي أعطتك بفضل مكانتها وجلال عظمتها وبعد آفاقها الهيبة والوقار، وقد أعطيتها الشباب ومجده والحياة وأمانيها، فملأتك عطفا وحنينا وقوة وعزيمة، خضت بها غمار الاستشهاد في سبيل الله والوطن بلا خوف ولا وجل، وقد جمعت فيه بين استعدادات النفس وأمانيها، بميلها العميق إلى الحرية والاستقلال التي تعلم الإنسان الفرح والسرور والبهجة وجمال الحياة في أمن وأمان، فهي يقظة روحية في صدر سامعيها، وآمال لسعادة الأجيال،

وعاد الربيع إلى شبابك وعزة أيامك غداة الاستقلال، من عام 1962 واهبا لك ثمار الجهاد، وغلة تضحياتك في اعتبار ومحبة ومجد، التي أصبحت بها صحيفة خالدة مملوءة بأرقام وظواهر وتواريخ لا تزال محفورة في تجاعيد الذاكرة، ذات حلقات آخذة بعضها برقاب بعض، تنير القلب وترفع النفس، إلى درجات الاعتبار والعلا والرقي،

فتاريخ الثورة الجزائرية لا زال مركونا في زوايا الماضي الغابر يُحْكى كسرد حكايات الصبا التي تضع قلب النهار في صدر الليل، في أعماق الزمان بما لا يعرفه الزمان، جاريا بأغراضه وفنونه، مروعا بأسراره وعجائبه، وأعماقه لا زالت تتسع وتنبسط بانفعالاته، وهو يمر كالأحلام حيث تنقضي لياليه أمام مسمع ومرأى من صاحبه،

فهو تاريخ كتبه لك القدر بأحرف من شعاع، على صفحاته الخالدة، فلن تمحوه الأيام ولا الليالي، ولن تمحوه الأقلام الزائفة ذات الألوان الباهتة، ولا السرائر الحاقدة ولا النفوس الفاسدة، من التي لا زالت نصب نفسها وصية على أقدس تاريخ وأعمق روح عاشتها الجزائر عبر ماضيها البعيد، وسوف تملأ قلوبهم يوما ظلمة الندم في وجود مفعم باليأس والحزن وبالذل والهوان،

فهو تاريخ مضيئة لأمة عربية إسلامية شهد لها العدو والصديق في الثورة والجهاد والتضحية والفدا، وسيأتي يوم ليعيد التاريخ نفسه بنفسه في نزاهة وطهر، كما يقول أهله وذووه، فبمعرفته تزيد الثورة الجزائرية جمالا، وباستطلاعاته لخفايا أيامها ولياليها ووجودها وسيرتها، ومصادر أيامها التي لا زال الكثير منها يغمرها الظلام في بعد وأنانية، تعود الحقيقة ويعود الأمل في كل ما مضى وما هو آت،

لقد توارى ليلي، وبدأت أشعة الشمس تنشر خيوطها من وراء الأبواب ونافذة مكتبي معلنة قدوم النهار، وكأني بها طارق يطرق الباب في استئذان دخول، فلملمت أوراقي وسكنت إلى نفسي وقلت وأنا الصادق الأمين في هذا المقال الذي راجعت فيه النفس بما تحمله من مجد المحبة ونور الجمال الذي هو العدل بأسمى ظواهره،

سلكت فيه مسلك الحق والاستقامة المرضية، في إدراك الحقيقة التي لا زالت تقوم وتقعد عند الكثير على أسس قوامها فضاء لا حد له ولا مدى، تاريخها ماض وأيامها باقية بقاء التاريخ في عدله وإنصافه، في قوته في ضعفه في مسراته، لما كان عليه صاحب هذه الترجمة في حسبه ونسبه، في حياته ومخازن أسراره من التي لا زال يحرسها السر والكتمان،

وما قلته بالأمس وما أدونه اليوم من رسوم غريبة وأفكار جميلة ما هي إلا بذور ألقاها الماضي ولا زال يلقيها في حقل النفس وسوف تكون مادة يستغلها المستقبل لنفسه غدا وبعد غده، يوم أن يتباين الناس في تمجيده ومحبته، مختلفين متقاربين متباعدين، في تعريفه ومعرفته، هكذا يا سيدي تراني اليوم أراجع النفس في كل ما وراء تخيلاتي من سر مجهول وأمر محجوب، وكل ما أهدته إلينا الأيام من طُرفها ومحاسنها وغرائبها وأوابدها وخطوبها وصروفها، وأشياء أخرى كثيرة لا زالت تتبع مسيرتنا مستفسرة ظواهر الأشياء فينا مستنطقة أعمالنا في الخير والشر كله تقودني حيث الآمال الكبيرة، والشرف الرفيع، والحقيقة التي لا زالت تختبئ مآثرها بين الروابي والمنحدرات حيث الأمل تارة والقنوط أخرى،

لقد مر بي زمان وزمان وأنا على مضجع المخاض والأوجاع حتى جاءتني هذه الليلة بهذه المسرة الكبيرة لتحرك ما بقي لي من أوتار، فأيقظت شجوني وعواطفي وكل ما في النفس من فضاء وابتهاج، فجاءت هذه الرسالة إليك معبرة عن حرارة الشوق المملوء بنواميسه النفيسة، التي كانت تتوارى وراء حجوب الدهور وأسراره العجيبة، لسترجع بها النفس ذكرياتها وعهود زمانها في حركاتها وسكناتها وملامح وجهها،

فبهذه الكلمات الربانية وبهذه الرؤيا الحكيمة الجليلة، ختم هذه الرسالة العبد الفقير إلى مولاه "عمار" بن محمد الشيباني بن الحبيب بن محمد الشيباني بن مصطفى بن سيدي قدور بن مصطفى بن سيدي الفريح المهاجي بن ابراهيم ....[36] بتاريخ التاسع والعشرين من شهر رمضان المبارك من عام 1427 للهجرة، بما يسهل على الذاكرة حفظُها وانتقالُها، من جيل إلى جيل، وبأسلوب اشتمل على مقاصد جميلة ودوافع روحية جليلة، هي من الفضائل عندي، ومن مزاياها طهارة أخلاق ونزاهة نفس، في كلام خال من الإشارات ومن التزيد والمباهاة، كثيره ما كان يجيش به صدري، ويمتلئُ به وجداني، أردت إثباتَه في شكل مخطوط قبل أن تضيع أصولُه مما هو عندي من الملموم، من بليغ أقوال وصدق أفعال بمنازله المتباينة، وطبقاته المتفاوتة،

وأخيرا استسمحك يا سيدي على ما بسطته أمامك من أسرار، وبكثير من الكلمات العميقة التي امتصت حقيقتي اتجاهك، بأسلاكها الخفية، وأوتادها المتينة، وخيالاتها المستحبة، التي كانت تجيبني بها النفس وبمعانيها المهيبة، من التي انطلق بها اللسان مادحا تارة في قوة وحكمة وشاكرا الله تارة أخرى على ما أعاد لي من أسرار ذاك الماضي البعيد ليجعله اليوم أمامي كأنشودة ابتدعها الفرح بهذه الرسالة التي استنطقت بها الذاكرة واستفسرت بها القلب الذي ظل أسيرا لها في قفص حبكت ضلوعه في مهارة فائقة،

---

[36] أنظر كتاب (الأثر الزاهر في ذكر النسب الطاهر) ص: 210 وما بعدها، طبع ديوان المطبوعات الجامعية ـ وهران: 1418 هـ 1998 للميلاد وكتاب (الأثر الآفل والكفيل الغافل في حلى أرض القعدة من بادية امهاجة بعد ثقافي وتواصل إنساني) ص: 291 وما بعدها ، طبع دار الأديب وهران ، 2021 للميلاد،

داعيا الله العلي القدير لي ولك دوام الصحة وامتداد العمر سالمين معافين بجاه رب العالمين، وأن يكون خلفُنا حافظ العهود، بالمحبة والاتحاد والبر والإحسان والعز واليقين، متصلَ الإسناد، صحيحاً من غير ضعف وانقطاع، إلى يوم الدين،

والله ولي التوفيق فهو نعم المولى ونعم النصير، وعليه فليتوكل المتوكلون،

الدكتور قدور ابراهيم عمار

بن محمد الشيباني المهاجي

وهران في : 8 ربيع الأول 1427هـ

الخاتمة

وبنهاية هذه السطور أكون قد أتيت على نهاية هذا التأليف الذي خصصته لسيرة المجاهد السيد (عبد الغني الطيب ابراهيم) المدعو (سي توفيق) حفظه الله ورعاه، الذي هو أحد بني عمومتي وممن تربطني به وشائج الصلة المباشرة، الذي أتيت فيه على كثير من الصفات الحميدة من التي أتتني أيامها في صور قادمة من أعماق الزمان، حيث القرية بتاريخها المذكور، وسيرتها المحمولة عبر زمانها البعيد، في أخبار وروايات ومعاني سامية، وصفات جليلة، ومبادئ وقيم وأخلاق رفيعة، من التي كان عليها أبناؤها الطيبين، ورجالاتها الصالحين وشيوخها العارفين، من الذين كانوا في طبقات علما وعملا، جاها وسؤددا،

وبكثير من تسلسل أفكار وروعة بيان، جاء هذا التأليف عندي مملوءا بما امتلأ به قلبي إيمانا حبا وتقديرا، اتجاه هذا المجاهد الطيب الأمين، (سي توفيق) والذي أعتبره بمثابة أرفع هدية أقدمها إليه طالبا منه القبول ومن الله الرضا،

وهو تأليف جاء عندي مرتبط العناصر، مكمول الأهداف والغايات، بعيدا عن تلك الحواشي والمقدمات البليغة من التي يصب فيها الكاتب نتاج تجربته وحصاد تفكيره، في ثوب من التعابير الجميلة ذات المدح والإطراء، وقد نهجت فيه منهج كتب السير والتراجم، دون أية خطة أو منهج ما من شأنه أن يقيدني في كل ما أخط وأمح، مواصلا العمل فيه، مستمدا مادته من بأيامه البعيدة من التي لا زالت محفورة في الذاكرة، مذكورة في كثير من جوانبها المتعددة، ونواحيها المتشعبة ذات الأبعاد التاريخية والثقافية والاجتماعية، من التي كانت عندي في تسلسلها ووقائعها، أشبه بمفاتيح لألوان من المواقف

والأخبار والروايات من التي كانت لنا أيامها في سنين، وكثير من الصفات الكريمة، والمآثر المشهودة، من التي باتت هي الأخرى تتزاحم علي في كثير معنى وسمو منزلته، حتى أنه كان لي فيها يومها بمثابة الأمين الناصح، في حسن رابطة وصدق معزة،

وأمور أخرى كثيرة جعلت منها أبوابا للكتابة، ودون خوف أو جهد من أمري، كان النص يحضرني في كثير من صوره المتباينة، وألوان من التعابير متواكبة، من التي أصبحت تخاطب وجداني، وتغوص إلى أعماق النفس أسلوبها الجميل الآخذ بأسباب الإمتاع في سمو من البلاغة العربية الأصيلة من التي تمتع العقل والفكر والخاطر، في وجه صادق ولسان مبين وفكر وتعبير،

وقد حمدت الله على هذا الفتح الرباني الذي أكرمني به الله في متسع من الثقة الكاملة بالنفس وأنا أنوء بحمل هذا التدوين الذي بت أتوافر فيه على مجموعة كبيرة من أسباب الكتابة، كوني نشأت وترعرعت في رحابها ما جعلني أمتلك الكثير من معانيها، وجوهر بلاغتها فيما يستقبل من حديث،

وقد رزقني الله فيه التفكير والتدبير لكل ما بات يتلوه علي لساني، كوني كنت أحد المقربين منه، وممن خبرت أسراره في طيب نفس وحياة كريمة، ما جعلني أُحْسِنُ أدبه في غير إفراط، ونشأته وسيرته النضالية والجهادية، التي كان فيها أهلا لكل فضل، ومنبعا لكل مكرمة، وقد أعطاني الله من القوة على إتمامه بكثير من النية الحسنة من التي لا تكون إلا بالعزة والتوفيق من الله سبحانه وتعالى، وقد بلغت فيه والحمد الله القصد وحسن الصواب، والله ولي القصد والهادي إلى سواء السبيل،

عمار المهاجي

فهرس الموضوعات

ـ تقديم 11
ـ تمهيد 25
ـ مولده ونشأته 33
ـ الرحلة في طلب العلم 41
ـ عودته لأرض الوطن 45
ـ التحاقه بالعمل الثوري 47
ـ عودته إلى الساحة السياسية في ظل الاستقلال 57
ـ المصطلح الثوري والجهادي للثورة الجزائرية 71
ـ المنطقة الخامسة ـ الرابعة،

ـــ تقسيماتها الجغرافية: نظامها الداخلي–.........79
ـــ رسالة من أعز رفيق إلى من يسمى
السيد (توفيق) ....—..——83
ـــ الخاتمة ....–...——... 103
ـــ فهرس الموضوعات ....–......107.

هذا الكتاب

لقد جاء هذا التأليف ـ والحمد لله ـ نتيجة عوامل كثيرة، وإسباب متعددة، ظلت تجمعني بهذا المجاهد الطيب ابراهيم عبد الغني المدعو (سي توفيق) بدءا من صلة قربى، فهو أحد بني عمومتي الأقربين، ومن علاقة مودة ومحبة، كانت لنا مولدا ونشأة، في كثير من الصفات الكريمة، والمآثر المشهودة، وأشياء أخرى غير قليلة من التي لا يتعب القلم في ذكرها ولا يجف مداده، ولا يكل الخاطر من الاستزادة في تبيان غرائب حسنها، وهو في الكفاءة والإخلاص معدود، نتيجة ما يتوافر عليه، من عمل صالح، صدقا ووفاء، في حكمة وكياسة أدبية، من التي لم تأته جهادا فحسب وإنما جاءته امتدادا لثقافته العربية الإسلامية الأصيلة، في كثير من أبعادها الروحية الدينية الثقافية والاجتماعية والوطنية،

وهي أشياء جعلتني أتحدث عنه (سيرة وجهادا) ، وأنا على درجة عالية من الصفاء النفسي والفكري وراحة البال، بعيدا عن كل مقصد أخشى على نفسي- الخطأ فيه زيادة أو نقصانا، والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل،

عمار المهاجي